PSYCHOLOGY AND EDUCATION (2024) 61(10): 1386-1402
ISSN: 1553-6939

# Transformations of Marriage Rituals in the Algerian City: An Anthropological Study in the City of Annaba as a Model

**Mehamdia Imene**[1]
[1]University of Blida 1 (Algeria).
**The E-mail Author:** i.mehamdia@univ-blida.dz

**Received: 08/06/2024** **Accepted: 21/09/2024** **Published 01/10/2024**

**ABSTRACT:**

This study aims to analyze wedding rituals in the city within a temporal context by examining individuals' behaviors related to the preparation and performance of these rituals, considering the influence of place. The analysis goes beyond traditional ethnographic description, adopting an analytical reading of behaviors and practices in their temporal and spatial dimensions, with an emphasis on adherence to cultural and social heritage. The study seeks to understand the reasons behind Algerian families' insistence on adhering to rituals, deconstructing and reshaping them according to social standards, and highlighting the impact of time on these rituals by exploring elements of change and continuity. Rituals are presented as tools individuals use to achieve personal interests, whether to attain social status or establish new relationships, reflecting the city's heritage and striving to preserve the uniqueness of these practices as celebratory rituals symbolizing social success.

**Keywords:** rituals, marriage, city, celebratory practices

## تحولات طقوس الزواج في المدينة الجزائرية: دراسة انثروبولوجية في مدينة عنابة انموذجا

**محامدية ايمان** [1*]
[1]جامعة البليدة 1 (الجزائر).

**ملخص:**

تهدف هذه الدراسة إلى تحليل طقوس الزواج في المدينة ضمن سياق زمني، من خلال دراسة سلوكيات الأفراد المتعلقة بالتحضير لهذه الطقوس وكيفية ممارستها، مع مراعاة تأثير المكان. يتجاوز التحليل هنا الوصف الإثنوغرافي التقليدي، حيث يعتمد على قراءة تحليلية للسلوكيات والممارسات في أبعادها الزمنية والمكانية، مع التركيز على التمسك بالتراث الثقافي والاجتماعي. تسعى الدراسة إلى فهم أسباب إصرار العائلات الجزائرية على الالتزام بالطقوس وتفكيكها وإعادة تشكيلها وفقًا للمعايير الاجتماعية، وإبراز تأثير الزمن على هذه الطقوس من خلال استكشاف عوامل التغير والثبات فيها. تُظهر الطقوس كأدوات يستخدمها الأفراد لتحقيق مصالحهم، سواء لبلوغ مكانة اجتماعية أو بناء علاقات جديدة، مما يعكس إرث المدينة ويسعى للحفاظ على خصوصية هذه الممارسات باعتبارها طقوسًا احتفالية ترمز إلى النجاح الاجتماعي.

**الكلمات المفتاحية:** الطقوس، الزواج، المدينة، الممارسات الاحتفالية

### 1- مقدمة:

يعتبر الزواج مناسبة اجتماعية احتفالية يلتقي فيها أفراد العائلة والأقارب لتجسيد توارثية الثقافة اللامادية، وبذلك يصبح المكان الذي يحتوي طقوس الاحتفال في صراع بين ثقافة الماضي وحداثة الحاضر، فالأشكال الاحتفالية الحديثة -والمستحدثة بين الحين والآخر- تؤكد على أن هذا الصراع -بين الثبات والتغيير- أمر لابد منه.

**2- مشكلة الدراسة:**

لقد شهدت طقوس الزواج وأنظمة القرابة في المجتمع الجزائري تطوراً ملحوظاً على مر العصور، متأثرة بتتابع الحضارات التي سكنت أو مرت بالمنطقة، مثل الحضارات الرومانية، الوندالية، والبيزنطية. وقد أدى هذا التنوع الحضاري إلى ترك بصمات عميقة على البنية الاجتماعية والثقافية للمجتمع الجزائري، خاصة في نظام العائلة الذي بني تاريخيا على النسب الأبوي أو "العائلة الإكناتيكية"، حيث تعتبر العائلة الذكورية هي النواة الأساسية للتنظيم الاجتماعي التقليدي. وبينما احتفظت المناطق الريفية بقدر أكبر من هذا النظام التقليدي، شهدت المدن تطورات اجتماعية وثقافية أثرت في طقوس الزواج وسياقاتها، ومع ذلك لا تزال بعض العادات القديمة قائمة في الثقافة الحضرية المعاصرة.

في هذا الإطار، تركز هذه الدراسة على فهم وتحليل طقوس الزواج في مدينة عنابة باعتبارها نموذجاً، حيث تستمر بعض العادات التقليدية وتندمج معها ممارسات جديدة تعكس التحولات الاجتماعية. تشمل هذه الطقوس مراحل عديدة مثل حمام العروسين، دعوات الحضور، الحناء، الحفلات الغنائية، وليمة العشاء، ولباس العروس، ورقصة العروسين. تتجلى أهمية هذه الطقوس في أنها تجمع بين الحدث كتراث ثقافي راسخ والممارسات كسلوكيات حضرية حديث، وانطلاقا مما سبق فلقد جاءت هذه الدراسة للإجابة على التساؤلات التالية: - ما هي طقوس الزواج في مدينة عنابة؟

-كيف يتم ممارسة هذه الطقوس ضمن التراتبية الزمنية؟

-ما هي الممارسات والتحضيرات التي تقام خصيصا من أجل هذا الحدث الاجتماعي؟

-ما هي المفارقة بين الحدث (باعتباره موروث ثقافي) والممارسات (باعتبارها سلوكيات متمدنة)؟ ما هي الدلالات التي تمثلها هذه الطقوس في متغير الزمن؟

**3- أهداف الدراسة:**

تهدف الدراسة إلى ما يلي:

-دراسة طقوس الزواج في مدينة عنابة، ومعرفة سياقها الثقافي، الاجتماعي والانثروبولوجي حيث أن مفارقات الزمن واضحة نحو الطقس كفعل ثقافي متوارث، والتوجه نحو تمدينه بما يستجد في كل زمن من ممارسات وسلوكيات تنم عن البحث عن هوية جديدة (متمدنة).

-البحث والكشف عن طبيعة هذه الطقوس كونها موروث اجتماعي يتصل بالزمن الماضي والحاضر.

-التعرف على الدلالات الثقافية والاجتماعية للطقوس المتبعة في مراسيم الزواج في مدينة عنابة.

-معرفة مظاهر الثبات والتغير في طقوس الزواج في المدينة باعتبار أن عامل التمدن شكل مفارقة، أو بالأصح صراع ثقافي في هوية الفرد في حياته اليومية وممارساته الاحتفالية، بحثا عن الذات في كل ما يمارسه من شعائر تصنف على أنها تقاليد متوارثة.

- الدراسات الانثروبولوجية التي قامت على دراسة طقوس الزواج في المدن الجزائرية قليلة على خلاف ما يتم من دراسات تهتم بمجتمع الريف.

**4- مجالات الدراسة:**

**4-1- المجال المكاني:**

لقد تمت الدراسة الميدانية في مدينة عنابة، التي تقع في الشمال الشرقي من الجزائر على الشريط الساحلي، وتم اختيارها لعدة أسباب أهمها:

-تعتبر المدينة من بين أهم وأبرز المدن الجزائرية تاريخيا وحضاريا، فوجودها يعود إلى ما قبل الفترة الكولونيالية، وبالتالي عاداتها وتقاليدها لها جذور اثنولوجية عميقة، ذلك ما يسهل على الباحثان التتبع التاريخي للظاهرة.

- عاشت المدينة مجموعة من المتغيرات الحضرية والديموغرافية منذ فترة الاستقلال والى وقتنا الحالي وخاصة الهجرة الداخلية، نمو النسيج العمراني، مما يجعل تتبعنا لطقوس الزواج في المدينة أمر مثير علميا، في ظل عدة أصول وتنويعات ثقافية لسكانها، والتي يمكن من خلالها رصد التشابه والاختلاف في إجراء الطقوس، انصياعا لطبيعة المكان الواحد (المدينة)، ومدى التفاعل بين الإنسان والمكان.

- يقطن الباحثان في المدينة وبالتالي يسهل عليه حضور حفلات الزواج ومتابعتها بدقة.

**4-2- المجال البشري:**

يعتمد نجاح الدراسة الميدانية على نجاح اختيار الإخباريين الملائمين لموضوعه بشكل جيد، باعتبارهم المصدر الرئيسي للمعطيات الميدانية (المقابلات)، ولتفسير ملاحظات الدراسة، تم اختيار الإخباريين (30 إخباري) من الفئات الآتية: - العروسين: العريس أو العروس حسب القدرة على التواصل معهم، - الأهل: وهم أهل العروسين في العائلة الصغير ذوي القرابة بالدم، - الأقارب: وهم الأقارب للعروسين - قرابة مصاهرة أو قرابة اجتماعية، - المكلفين بمتابعة مراسيم الزواج: وهم الأفراد المكلفين بمهمة ضمن تنظيم، تأطير أو تسيير العرس.

**5- منهجية الدراسة وأدواتها:**

**5-1- المنهج الانثروبولوجي:**

اعتمد الباحثان المنهج الانثروبولوجي في انجاز الجانب الميداني من الدراسة، وذلك بتوظيف أدواته وهي: الملاحظة بالمشاركة، المقابلات الفردية والجماعية، الإخباريين، التسجيل المزدوج (صوتي ومرئي) في جمع البيانات والمعطيات.

**2-5- أدوات جمع البيانات:**

تتمثل هذه الأدوات في:

**1-2-5- الملاحظة بالمشاركة:**

حيث تم حضور بعض الأعراس التي تمت في مدينة عنابة في صيف 2023، ومتابعة عاداتها، طقوسها ومراسيمها وذلك أثناء حدوثها والتي أقيمت في المنازل أو في قاعات الحفلات، وقد تم اختيارها عشوائيا، من العائلات التي سمحت لنا (دعوة) أو تسنى لنا (الموافقة) بمتابعة وحضور العرس، ومن المظاهر التي تم ملاحظتها أن الزواج في مدينة عنابة يتم في قاعات الحفلات ويستخدم في موكب العروس السيارات الفخمة وبالأخص سيارة التي تنقل العروسين إلى الفندق أين يمضي العروسين ليلة الدخلة.

**2-2-5- المقابلة:**

استخدمت هذه الأداة في جميع مراحل الدراسة لكونها أداة مهمة في رصد توجهات وتمثلات عينة الدراسة لطقوس الزواج، حيث تمت بمقابلات مع الإخباريين، وتم رصد تصوراتهم الخاصة عن طقوس الزواج وخلفياتها الزمن-ثقافية. حيث تم إجراء (30) مقابلة في (6) أعراس تم حضورها، وهي مقابلات بنوعيها فردية وجماعية وفي بعض الحالات تجمع بين الجنسين (ذكور وإناث) حسب طبيعة العرس المقام وموافقة الإخباريين، وتم من خلال المقابلات الفردية سؤال المبحوثين عن كل جزء من طقوس الزواج ظاهرها وخفيها، وأما المقابلات الجماعية فقد كانت أسئلتها شبه موجهة، لتوجيه الحديث نحو رصد أكثر لمعلومات متقاربة من الإخباريين.

**3-2-5- التسجيل المزدوج (صوتي ومرئي):**

تعتبر من أهم التقنيات السمعية-البصرية التي لم أستطيع الاستغناء عنها في الدراسة، حيث قمت باستخدام أجهزة التسجيل الصوتي وأجهزة التصوير الفيديو (هاتف أو كاميرا) مع استشارة الإخباريين والمسئولين عن العرس لأخذ موافقتهم في تسجيل شهاداتهم وتوثيق الملاحظات، ورصد الطقوس والسلوكيات المصاحبة لمراسيم الزواج، خاصة ما ارتبط منها باللباس، وغيرها من سلوكيات، بحيث يسهل العودة إليها في فترة لاحقة.

**6- الدراسات السابقة:**

**1-6- الدراسة الأولى:**

دراسة بعنوان "المرجعية الثقافية والطقوس الاحتفالية للزواج، منطقة تلمسان نموذجا"[1] للباحثة شعبان هوارية، وتناولت الدراسة موضوع المرجعية الثقافية والطقوس الاحتفالية للزواج عند عرش أولاد ورياش الذي يعد من العروش الكبرى في منطقة سبدو في تلمسان، الذي تشكل الترعة القبلية فيه بالإضافة إلى الأسرة الأبوية والملكية العائلية الدعامة الأساسية في بنائه الاجتماعي، حيث قامت الباحثة بدراسة عادات الزواج باعتبارها ظاهرة اجتماعية لتحديد أبعادها الثقافية والاجتماعية، ومدى تعرضها لتأثيرات التغير الاجتماعي والثقافي كونها أكثر العادات تعبيرا عن المضمون الذي يعكسه سلوك الأفراد وتصرفاتهم في المناسبات الخاصة بالزواج، انطلاقا من التساؤل الآتي: إلى أي مدى ظل عرش أولاد ورياش محافظا على خصائصه التقليدية الأصيلة والمتمثلة خاصة في الحفاظ على انتمائه القبلي التي تقتضي عدم الزواج من خارج القبيلة وخاصة مع عرش أولاد أنهار؟

وتم تقسيم الدراسة إلى فصلين ضم كل منهما (05) مباحث، وقد اعتمدت الباحثة على منهج الفهم عند ماكس فيبر القائم على المنهج الكيفي والتحليلي في إطار النسق الاجتماعي، واعتمدت الباحثة على الملاحظة بالمشاركة والمقابلة نصف الموجهة، حيث تمت متابعة مراسيم الزواج أثناء حدوثها ومع (12) عائلة من عائلات العرش تم اختيارها بشكل عشوائي، وتم إجراء (30) مقابلة، واستمرت الدراسة الميدانية من شهر جوان حتى غاية شهر أكتوبر 2007.

وقد توصلت الدراسة إلى أن النسق الثقافي التقليدي يلعب دورا رئيسيا في تحديد الممارسات الطقوسية لاحتفالية الزواج، حيث سلطة التقاليد والأعراف بالرغم من تدخل عناصر ثقافية أخرى أكثر عصرنة، وجدت أن للدين حضور قوي في هذه الطقوس حتى يضفي لها الشرعية الموقرة والمعترف بها في المجتمع.

**2-6- الدراسة الثانية:**

دراسة بعنوان "الحنة وظائفها وطقوسها الاجتماعية"[2]، تأتي هذه الدراسة لتبين دور الثقافة الشعبية التقليدية في قرية بللوران التي تقع شمال مدينة اللاذقية في سوريا، من خلال دراسة ظاهرة الحناء المصاحبة لمراسيم الزواج، واعتمد الباحثون خلالها على المنهج التاريخي والمنهج الوظيفي في رصد الظاهرة، ومن ثم تحليل ارتباطاتها البنيوية، وتفسير تشابكاتها مع الظواهر الاجتماعية الأخرى، وتم توظيف الملاحظة بالمشاركة والمقابلة مع بعض أهل القرية المتزوجين حديثا كأدوات لجمع البيانات، ولقد كشفت الدراسة أن هنالك حراكا اجتماعيا حقيقيا نحو عودة أبناء الريف الساحلي لتبني إحياء بعض مظاهر الثقافة التقليدية،

ومنها نزوع بعض الأزواج نحو إعادة استخدام طقوس الحناء قبل زفافهم، في حين أن تحنية العروس تميل إلى الاكتفاء إصبع الخنصر من يدها اليمنى، تماشيا مع ما يقوم به زوجها.

**3-6- الدراسة الثالثة:**

دراسة بعنوان "عادات الزواج وتقاليده بين الثبات والتغير"[3]، للباحثة هند عقل العقيبة، حيث تناولت الباحثة بالدراسة المستفيضة عادات الزواج وتقاليده في مدينة بنياس الساحلية وريفها في سوريا، ضمن إطارها الثقافي والاجتماعي، في محاولة للوقوف على عادات الزواج وتقاليد المرافقة له بين الماضي والحاضر، وتنقسم الدراسة إلى بابين، الباب الأول وقد خصص للإطار النظري للدراسة ويضم ثلاثة فصول، والباب الثاني تحليل مظاهر الثبات والتغير في عادات الزواج وتقاليده، ويضم أربعة فصول.

الدراسة اعتمدت على المنهج الانثروبولوجي على أساس أن إجراءات الزواج ومراسيمه التي تبرز من خلال كثير من الممارسات والسلوكيات التي يقوم بها بعض الناس الأفراد في حياتهم اليومية، ولعل تلك الممارسات التي أشارت إليها الباحثة والتي ما تزال متبعة في مدينة بنياس عشية الاحتفال بليلة العرس، والتي تعد إحدى جوانب الاحتفالات الشعبية المرتبطة عادة بدلالات اجتماعية معينة، وذلك كونها طقسا جمعيا يسبق الاحتفال بالزفاف بيوم واحد، قدمت هذه الدراسة وصفا تحليليا شاملا لمحتوى ظاهرة الحناء، من كونها جزءا من المراسيم الشعبية للاحتفال بالعرس في الماضي، إذا جاءت الباحثة في عرضها لتفاصيل مراسيم الزواج بشكل مرتب زمنيا بدءا من دعوة العروس إلى صديقاتها المقربات منها لحضور إلى منزلها مساء، مرورا بتحضير مزيج الحناء وما يرافقه من تفاصيل احتفالية جمعية كغناء الأهازيج وإطلاق الزغاريد المرتبطة بشكل خاص بهذه الليلة، وانتهاء بكامل طقوس الحناء قبل انفضاض التجمع وانتهاء الحفلة.

**7- مفاهيم الدراسة:**

**1-7- الطقوس:**

إن مصطلح طقس (Rite) مشتقة من الأصل اللاتيني (Ritus) وهي تشير إلى "الأنشطة والأفعال المنظمة التي تتخذها جماعة ما خلال احتفالاتها"[4]، وإلى الكيفية التي يتمّ بها أداء الأنشطة المقدّسة وتنظيمها في إطار احتفالي، ويشار بها في الديانة المسيحية إلى " النّظَامُ الَّذِي تَتِمُّ بِهِ الشَّعَائِرُ وَالْاِحْتِفالَاتُ الدِّيْنِيَّةُ الْمُقَدّسَةُ "[5]، ويهدف إلى "إثبات استمرارية الحدث التاريخي الشهير فهو يميل إلى تكريس ديمومة الحدث (...) الذي أوجده فهو استنادا إلى ذلك إعادة خلق وتحيين لماض غامض غالبا، لكنه يأخذ معناه عند الدين"[6]، لإحياء وتحيين لتجربة مقدسة. إن الطقوس أساطير تتحرك لأن الأسطورة هي مؤسسة الفعل المقدس فهي تسبقه وتضمن بقاءه [7]، ويتفق عليها أفراد المجتمع وتكون على أنواع وأشكال مختلفة تتناسب والغاية التي دفعت الفاعل الاجتماعي أو الجماعة للقيام بها"[8].

أما وليام روبرتسن سميث William Robertson (1846-1894) في مؤلفه " تاريخ اسكتلندا 1542-1603 " (1759) يعتقد بأن الطقوس الدينية هي أشياء تعبر عن آراء يمكن تمريرها من شخص لآخر ومن عصر لآخر دون إحداث أي تغيير فيها، كما يمكن التعبير عن جميع الآراء التي لا تدخل في إطار الخرافة أو العقيدة المتحيزة بالتصرفات الطقوسية، ويعتقد إدموند رونالد ليجEdmund Leach (1910-1989) ، بأن الطقوس هي نوع من أنواع السلوك الاجتماعي له صفة رمزية تنعكس في الشعائر والممارسات الدينية وأحياناً يعبر عنها في سياق العادات والتقاليد [9]، كما توضح الطقوس حسب آراء رونالد ليج Edmund Ronald Leach (1910-1989)أن معالم التركيب الاجتماعي إذ تحدد أنماط العلاقات الاجتماعية المتناسقة بين الأفراد والجماعات، الطقوس إذن ليست نوعاً من أنواع الحدث وإنما هي وسيلة إعلامية تعبر عن أنواع الأحداث والتصرفات الاجتماعية وذلك لخاصيتها الإعلامية البارزة.

ويقوم جون رانكين غودي John Goody (1919-2015) في مقال بعنوان "الدين والطقس" (1961) بتحليل الطقوس عن طريق دراسة العلاقة بين واسطة وغاية الفعل الاجتماعي، فيقول بأن الطقوس هي نوع من أنواع السلوك ذي المقاييس المتوازنة والتي لا تكون العلاقة بين واسطته وغايته جوهرية أي أن العلاقة بين واسطة وغاية السلوك الطقسي هي علاقة غير منطقية ولا عقلية، والسلوك الطقسي يتمثل بالحدث السحري أو العادات والتقاليد والأعراف الاجتماعية التي يعبر عنها بالرموز السلوكية [10].

نجد أن لاصطلاح (طقوس) ثلاثة استعمالات مختلفة، الاستعمالان الأولان يؤكدان على الطبيعة الرمزية للطقوس، أما الاستعمال الأخير فيعرف الطقوس بالنسبة للعلاقة بين الواسطة والغاية التي تكمن في السلوك الاجتماعي، وتبعاً للمعايير الطقوسية فإننا نشاهد استعمال الطقوس في التصرفات السحرية والدينية وفي بقية أنواع التصرفات التي تقرها العادات والتقاليد الاجتماعية السائدة في المجتمع، أما ماري دوغلاس Mary Douglas (1921-2007) بأن الطقوس تحل محل الدين في معظم النظريات والكتابات الانثروبولوجية طالما أن المقصود بها هو التصرفات الرمزية المتعلقة بالأشياء والكائنات المقدسة للشعوب البدائية[11]، في حين يختلف رادكليف براون Alfred Radcliffe-Brown (1881-1955) في كتاباته الانثروبولوجية مع اميل دوركهايم Emile Durkheim (1858-1917) الذي عرفه على أنه "قواعد للسلوك تصف لنا تصرف الإنسان مع الأشياء المقدس[12]،

فالطقوس حسب هذه التعريفات مجموعة من القواعد التي تنتظم بها ممارسات الجماعة، إمّا خلال أداء شعائرها التي تعدّها مقدّسة أو من خلال تنظيم أنشطتها الاجتماعية والرمزيّة وضبطها وفق "شعائر" منتظمة في الزمان والمكان، وفي اللغة العربية يشمل مضمون "الطقس" الدلالة على "الشعيرة"، ولأن اقترن مدلول الشعيرة في اللغة العربية بما يدلّ على الممارسات المقدّسة التي تدخل المؤمن في حالة القداسة وتجعله يؤتي مناسكه التعبدية، ويحيل أيضا على المراسيم التي تنجز ضمن التعاليم الدينية للدخول في تجربة القداسة (كتلك المرتبطة عند المؤمنين مثلا بفرائض العبادات من صلاة وحجّ، وبشعائر الموت والأضحية وغير ذلك)، فإنّ مجال الطقوس يشمل أيضا الأنشطة الاجتماعية، الاقتصادية، الثقافية وغيرها، وكذلك أفعال التواصل والتبادل التي تتمّ بين الأفراد في حياتهم اليومية.

يمكننا هنا أن نحدد خصائص الطقس وفقا لما سيتم دراسته في موضوع طقوس الزواج، في النقاط التالية: أ- الممارسات الاعتقادية المبنية على جزئيات مكملة للحدث/ ب-الاحتفال والمشاركة الجماعية/ ج- الدين بتمثلاته وتفسيراته الشعبوية/، د-الطقس مظهر اجتماعي متكرر وقابل للتعديل والتغير.

**7-2- الزواج:**

ينطلق الباحثون في الانثروبولوجيا في تحديد مفهوم الزواج كونه عملية إنسانية قبل أن تكون اجتماعية، فهو ارتباط يقع بين شخصين مختلفين في الجنس يشرعها ويبرر وجودها المجتمع، وبالتالي فهذا النظام -الوضعي أو الإلهي- يختلف تماما على نظام التزاوج الذي نجده عند الكائنات الأخرى، وإن كان الخوض في مضامين التشابه والاختلاف يدخلنا في متاهات الفلسفة إلا أننا نشير هنا إلى أن التزاوج مرتبط بالزمن المحدد والإشباع الجنسي (الغرائزي) وهنا فقط، ندرك أم مفهوم التزاوج لا ينطبق على وصف العملية التي يتفاعل فيها الإنسان في تشكيل نظام الزواج والعائلة.

وإذا ما توغلنا أكثر في أبعاد المفهوم في محاولة لتكييف المصطلح لمقتضيات الواقع الراهن، نستنتج بوضوح أن الزواج قد يندرج ضمن معادلة المقدس والمدنس، الأمر الذي ساهم في بروز نماذج تقوم بفك هذه الروابط المقدسة وتنقلها إلى أشكال اجتماعية تخضع لمبدأ أساسي هو القبول والإجماع بدل من الشرعنة الدينية، وينزع عنه بذلك سمة الرباط الوثيق ليجعل تحديد مفهومه ضمن كلاسيكيات الدراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية أمر صعب -إن لم نقل مستحيل- مع إلغاء عنصرين أساسيين في المعادلة: أ- شخصين مختلفين في الجنس، (زواج المثليين)، ب- الشرعية المجتمعية (زواج الصداقة وزواج التأرجح (Swinging marriage))، وبذلك تحل منظومة الثقافة الاجتماعية السائدة كأحد طرفي معادلة الزواج، أو يصبح نظام الزواج مجرد ضرورة تاريخية ونتاج طبيعي[13] لمرحلة ما، ليتوجب بذلك إعادة النظر في تحديد تعريف المصطلح، فالتحول البنائي والوظيفي للمجتمع والعائلة يحتم علينا المرور من نمط زواجي (عائلي) إلى نمط متحرر علائقيا، في ضل موجات التمدن التي صاحبت العولمة، وفي سبيل رؤية إلى ما بعد الحداثة.

**7-3- المدينة:**

مصطلح المدينة (City) يقابله في التراث اللاتيني كلمة (polis) ويعود أصله إلى جذور لغوية منها (Civilties) :بمعنى مدنية، و "Civis"أي ساكن المدينة، و (Cities)وهي البيئة المادية في المناطق الحضرية، حيث يرتكز وجودها المادي بقدر كبير على الإنسان، واستخدامه للمجال من أجل ممارسة النشاطات التمدنية، مثل: التجارة، الصناعة، التعليم، السياسية، الثقافة وغيرها، المبادئ التي تحكم هيكل التنظيم في المناطق الحضرية هو من يجدد انتسابها إلى فئة "المدن"، وان كان ذلك لا يجعل من كل تجمع سكاني مدينة، مما يدفعنا إلى تحديد معالمها بشكل أوضح، حيث أن تعدد وتنوع التعريفات للعلماء والباحثين- بتعدد الاتجاهات الفكرية والمدارس-، جعل الأمر يصعب علينا اليوم عملية إيجاد نقطة الانطلاق، ففي القديم نجد أن أرسطو (384 ق.م - 322 ق.م) اعتبرها تكتل يضم مجموعة من القرى، وغاية هذا التكتل هو تحقيق الاكتفاء الذاتي ومن ثم تحقيق السعادة، فهي توجد بالطبيعة وبالتالي فأساس التجمعات البشرية هو الطبيعة[14]، أما ابن خلدون يعرفها بقوله "أهل القرى هم الذين يعتمدون على الضروري والحاجي في أحوال عيشهم أما أهل المدن فيعتمدون على الضروري، الحاجة والتقنين في أمور معيشتهم (...) وهي موضوعة للعموم لا للخصوص فتحتاج إلى اجتماع الأيادي وأثرة التعاون (...) فلا بد في تمصير واختطاط المدن من الدولة"[15]، لنجد هنا أن ابن خلدون كان أكثر قربا من في رؤيته للمدينة الحديثة وتمظهراتها،

بالرغم من تعدد هذه الاتجاهات المحددة لتعريف المدينة، إلا أنها استندت إلى إحدى الزوايا الفكرية أو المقاربات النظرية ذات الاتجاه المشترك على خلاف ما نجده عند جوال دو روسناي (Joël de Rosnay) في قوله "المدينة هي مجموعة معقدة من العناصر في ما بينها منظمة حول هدف"[16]، فالمدينة انطلاقا من كونه تشكل فعل إنساني متميز، فهي لا تتوقف عند الخصائص التالية: الجانب الصناعي والتجاري (الرأسمالية)، الحجم والكثافة السكانية (الديموغرافيا)، البيئة والمحيط (الايكولوجيا)، التجانس والتفاعل (الأسس الاجتماعية)، التوسع العمراني، درجة التمدن، الإدارة والتنظيم (الجانب الإداري)، كل هذه الخصائص التي تساهم بتناسقها في تشكل المدينة، حيث أن كل عنصر يعتبر غير فعال لوحده في وقتنا الراهن دون التفاعل مع مغيره من العناصر لتقديم منظور ومفهوم متكامل عن مصطلح "المدينة".

**8- الزواج في المدينة (الجزائر أنموذجا):**

**8-1- الزواج في المدينة الجزائرية (في الزمن الماضي):**

الزواج في المجتمع الجزائري في الزمن الماضي، كان يعتبر مسألة عائلية يشترك فيه كل كبار السن في العائلة أو كل المخولون في اتخاذ القرار (الأب، الأم، الأخ الأكبر، الجد، الجدة والعم...)، ذلك لأن الزواج في حد ذاته يعتبر في المخيال الثقافي للعائلة الجزائرية من القضايا المصيرية المشتركة، باعتبار أنها إضافة أو نقص لفرد ضمن العائلة، وهذا ما يجعل من الأمر يستوجب التفكير والتخطيط، ونجد أن فان جنبArnold Van Gennep (1873-1957) ، لما يتحدث عن طقوس الزواج في ضوء نظريته منطلقا من أن الزواج فعل اجتماعي، فهو يعتبر المهر نوعا من التعويض للجماعة التي تتخلى عن أحد أفرادها[17]، فالزواج قديما وفي التقاليد الجزائرية قضية جماعية عائلية يتوجب أن تقوم به العائلة أو تساهم فيها، مقابل ذلك لا يحق للفرد (الزوج أو الزوجة) أن يقدم على الزواج أو يتكفل بالزواج بشكل فردي دون علم أو أخذ موافقة العائلة.

تعد طريقة اختيار الزوجة أول وأهم مرحلة في التحضير للزواج، فهي تتم في سياق مترابط ومتسلسل من العمليات والبروتكولات، تبدأ بالتواصل بين الأم والابن في عملية إقناعه لحاجته للزواج باستخدامها حجة النضج والقدرة، وتليها مرحلة البحث عن الزوجة وهنا تكون العملية سريعة وسرية بحيث تقوم الأم بالتواصل مع الأهل والمقربات من العائلة للحصول على أكبر قدر من الخيارات المتاحة وفي بعض الأحيان تلجأ الأم إلى ما يسمى "الخاطبة"، وهي امرأة مختصة في هذه القضايا ولديها معلومات واسعة عن الفتيات والعائلة المتواجدة في المنطقة وأصولها الاجتماعية (امتداداتها التاريخية، الأصل والنسب) مما يسهل على الأم العملية بحثا عن المواصفات الفسيولوجية (السن والجمال) للفتاة والقيمية (التربية والأخلاق) والأصل والعراقة للعائلة[18]، كل هذه المواصفات كانت تعتبر من المعايير التي لا يتوجب الاستغناء عنها في اختيار العروس.

لما يقع الاختيار على فتاة معينة، تأتي المرحلة الموالية وهي إخبار الابن بمن وقع عليها الاختيار وبخصائصها الاجتماعية: "ابنة فلان" و"العائلة الفلانية العريقة"، ثم خصائصها الوظيفية: تتقن أمور تسيير المنزل مثل: الطبخ والخياطة، ثم خصائصها القيمية: وتتمثل في صفاتها الأخلاقية والدينية، مثل: الحياء، الخجل، الرزانة والإطاعة، وفي الأخير تأتي الصفات الفسيولوجية: صغيرة السن وجميلة، وبالتالي تبقى موافقة الابن أمر شكلي والملاحظ أن الثقة التي تربط الأم والابن تجعل من هذا الأخير يخضع في كثير من الأحيان - إن لم نقل دائما - إلى الرغبة في إرضائها وبالتالي تكون المحاولات الأولى من الأم ناجحة في استمالة الابن إلى رغباتها الاختيارية، وبالتالي إلى المرور إلى المراحل اللاحقة من العملية.

يتم التواصل الأولي بين أم العريس وأم الفتاة لعرض نية الخطبة، لتترك الأولى فترة للثانية للتدبر والتفكير، وبعدها تبحث أم الفتاة في الظروف الاجتماعية لعائلة العريس بحث عن التوافق أو التماثل في المستوى الاجتماعي للعائلتين، وبعد التأكد من توفر هذا الشرط تحيل الأمر إلى أب الفتاة الذي بدوره يدرس الوضع الطبقي للعائلة والجانب الأخلاقي والاقتصادي للعريس وعائلته، وفي حالة تأكده من أن هذه الجوانب مقبولة، فإنه يبدي موافقته، ويتم نقل موافقة أطراف المعادلة إلى أم العريس، ويتم تحديد تاريخ الخطوبة "الكلمة"، وحينما يتفق على يوم محدد، تنتقل أم العريس إلى بيت العروس مع وفد مصغر من العائلة في الغالب يحتوي على ما بين (04) إلى (08) نساء يقابله نفس العدد لدى أهل العروس، وتعتبر هذه الخطوة الأولى لإعلان الارتباط بين العائلتين حيث يتم الاتفاق على شروط ومستلزمات الزواج تلي هذه المرحلة الانتقال إلى الرسميات والتي تتم بتشكيل أب العريس وفد من الأهل والأعيان - ذلك وفق مكانته الاجتماعية في المنطقة- لينتقل إلى بيت أهل الفتاة جالبا معه "الطالب" أو "الإمام"[19]، لوضع مساقات الزواج الشرعي "الفاتحة" وهنا بقدر ما تكون هذه الخطوة أساسية في ربط العائلتين (المصاهرة) إلا أن المجال الممنوح للرجال في هذه الجلسة ضيق لأن ما يتم الاتفاق عليه هو في إطار الخطوط العريضة التي تم الاتفاق عليها سابقا من طرف النسوة، وما تتسم به هذه الجلسة أنها الإعلان عن شرعية الرابط وإتاحة المجال للتعارف بين العائلتين في إطار التحضير لمراسيم الزواج، فالزواج في المفهوم التقليدي للعائلة الجزائرية لا يربط فقط زوج وزوجة بل هو تحالف واتحاد بين عائلتين أو جماعتين، لأنه يخلق روابط بين العائلات والعروش[20] .

أعتبر الزواج في المدينة -سابقا- تعبيرا اجتماعيا وثقافيا عن الانتقال من مرحلة الفردية (الأنا) إلى مرحلة الجماعية (العائلة) وما يحمله ذلك من رمزية (نضج اجتماعي) ومن قيم حضارية متوارثة، وعلى الرغم من وجود بعض الاختلافات التي تطبع عملية الاحتفالات الطقوسية به بين منطقة وأخرى، إلا أن تراتبية طقوسه تبقى حاضرة إلى حد كبير وتخضع لتداخل المنطقين الاعتقادي والديني[21]، هذا الأخير الذي تستمد منه هذه الطقوس مشروعيتها، بالرغم من المبالغة إلى حد كبير في ممارسة بعض الطقوس، حيث يخضع لعدد من الإجراءات التي تكلف الآن مبالغ مالية معتبرة، كما يعبر عنه المثل الشعبي السائد "زواج ليلة تدبيره عام".

**8-2- الزواج في المدينة الجزائرية وجدلية الزمن:**

إن الحديث عن 132 سنة من الكولونيالية الفرنسية في أشكالها المتعددة كان لها نتيجة حتمية على تغير عادات وتقاليد المجتمع الجزائري، لذا لن تكون نقطة البداية في فهم طقوس الزواج في هذا المجتمع بالعودة إلى استقلال الجزائر وإنما يتوجب علينا التأكيد على التفكك، التشتت والتشوه الثقافي والحضاري الذي عاشه المجتمع والعائلة الجزائرية أثناء الفترة الكولونيالية، والتي خلفت تغيرات جذرية ظهرت مع السنوات الأولى من الاستقلال بما يمكن أن نسميه صراع الازدواجية بين نظام الزواج التقليدي وثقافة التمدن الذي عاشها المجتمع من خلال عملية النزوح الريفي وتبني قانون الأسرة المدني، تبني الاشتراكية كنظام

اجتماعي اقتصادي (القرى الاشتراكية)، إن هذه الخيارات أثرت على البنية الاجتماعية والوظيفية للعائلة الجزائرية، ونقلتها من نظام اجتماعي وعائلي إلى نظام آخر: عرش (بطن)، عائلة كبيرة، عائلة تقليدية، عائلة نووية (زواجية)، لذا وعلى فترات متتابعة عرفت الجزائر تغيرا ملحوظا في نموذج شكل العائلة السائد سواء في المجتمع الحضري (المدينة) أو المجتمع الريفي (الريف)، ولابد أن نؤكد هنا أنه بالإضافة إلى هذين النوعين من التجمعات المجتمعية اللذان سادا في الجزائر والى نهاية فترة السبعينات إلا أنه من بداية الثمانينات ظهر نوعا ثالثا في الجزائر سمي بـ "المجتمعات شبه الحضرية" (الحضرية المتريفة) وهي بذلك تقع في وضع وسط بين الاثنين وتجمع بين الخصائص الريفية والحضرية، فهذه المناطق شبه الحضرية تعرف مميزات المدن كالتوسع العمراني ووجود المؤسسات الصناعية، والتخصص، وتقسيم العمل إلى جانب الخصائص الريفية حيث ما زالت العائلة والشعور القوي بالانتماء للروابط الاجتماعية التقليدية من أهم مميزات الحياة الاجتماعية في هذه المناطق

الاتجاه العام في الزواج التقليدي الآن سواء أكان في المدينة أو في الريف الجزائري، "كان يعتمد أول ما يعتمد على عنصر القرابة فابن العم أولى بابنة عمه إذا ما رغب فيها لأنه كلما كانت القرابة قريبة كان الزواج مشرفا"[22]، لأن من مميزات الزواج التقليدي قيامه على القرابة والنسب، حيث يتصف في هذا الاتجاه كونه عملية اجتماعية عائلية، تمثل عقد بين عائلتين أو جماعتين أو زواج من نفس العائلة، وهو محبذ في العائلات التقليدية لأنه يحافظ على تماسك الجماعة وترسيخ علاقات القرابة، وهذا يعني أن الشاب في غالب العائلات الجزائرية -سابقا- يستشار في حالة رغبة الأسرة في تزويجه لكن مع ذلك لا يبدي رغبته في اختيار فتاة دون أخرى فطقوس الاختيار تعتبر أمر "نسوي" (أنثوي) ورجولته لا تسمح له في الخوض في خصال أو صفات زوجة المستقبل لذا يترك الأمر للأم لتكون الفاصل في هذا الأمر، "أما بالنسبة للفتاة فببلوغها سن الرشد، لا يحق لها الرفض أو التعقيب عن الخاطب الذي يراه الأب أو العائلة مناسبا لها، وهذا ناتج خضوعها لإرادة الأبوين، ومن جهة أخرى يرجع ذلك إلى السلطة المطلقة للأب، الأمر الذي يفسر منع المجتمع ببنائه المعماري المبني على العرف والتقاليد والدين التلاقي بين الجنسين بحيث كان هناك حاجز صارم ملاحظ بين الجنسين فلا يجب أن يجتمعا، معا ويتبادلان أطراف الحديث"[23].

يتبين أن الزواج كان شأنا عائليا، حيث كان يعبر عن الخصائص السسيو-ثقافية للمجتمع الجزائري في الماضي القريب، فنمط الزواج التقليدي يمثل أحد الميكانيزمات الأساسية لإعادة الإنتاج البيولوجي والاجتماعي، والمحافظة على نظام الأسرة الممتدة والمكرس لسلطة رئيس الأسرة وذلك على ضوء ما تنظمه وتحدده العادات والتقاليد، يأخذ هذا النمط من الزواج شكلين في المجتمع الجزائري، ونجده "عند القبائل يأخذ الخط الأموي الزواج (بابنة الخال)، أما عند العرب فيتبع الخط الأبوي الزواج (بابنة العم)، ويعتبر كتخطيط للإنتاج والحفاظ على الميراث من الضياع، كما أنه يحفظ التماسك والتضامن داخل الجماعة"[24].

أما التحولات العميقة التي حدثت خلال العشرين سنة الأخيرة، وخاصة انتشار التعليم بمستوياته المختلفة بين الجنسين والذي أتاح فرصة الاختلاط المشترك، وخروج المرأة للعمل واختلاطه في العمل مع الرجل وانضمام الشباب من الجنسين إلى الحياة الاجتماعية والثقافية والحضارية، وتقدم تكنولوجيا التواصل والاتصال، أدى بالشباب إلى التفتح على نماذج المجتمعات الشرقية والغربية، وظهور فكرة حرية المرأة في اختيار الزوج، وساعدت هذه الظروف على إتاحة الفرصة للجنسين المقبلين على الزواج من التعارف والتواصل، حيث أصبح كل من الفتاة والشاب يتطلعان إلى البحث والاختيار الفردي القائم على التفاهم المتبادل والتجانس والعاطفة، وقد أشارت دراسة قام بها مصطفى بوتفنوشت إلى أن الثلث من عينة العائلات اختارت فيها الفتيات بحرية أزواجهن مباشرة في، وسط جامعي أو مهني أو وسط آخر [25].

ساهم التوسع المكاني والحضارات المتتالية على المنطقة إلى إثراء الجانب الثقافي لتقاليد المجتمع الجزائري ويبرز ذلك في التنوع الثقافي (التراث المادي وغير المادي) لطقوس الزواج. فنجد أن الزواج يرتبط كثيرا بالعشيرة أو القبيلة التي ينتمي العروسين وفي بعض الأحيان نجد زواج مختلط الثقافات يجمع ما بين انتماءات مكانية وثقافية مختلفة مما يجعل هذه الطقوس لا تشكل وحدة متفق عليها، أو خط واضح المعالم تاريخيا وتراتبيا وإنما يجعلها تعيش نوع من الديناميكية الثابتة، فنجد العرس الشاوي، القبائلي، التارقي، المزابي، الوهراني، القسنطيني، التلمساني وغيرها، ربما هذا التنوع الثقافي جعل من مهمتنا البحثية تكون أكثر إمتاعا، لأن محاولتنا في كل مرة لفهم هذا التنوع والتمازج يخلق لدينا طقس جديد يستحق الدراسة والبحث في مرجعيته

**9- مناقشة وتحليل نتائج الدراسة:**

تتسم طقوس الزواج في المدينة الجزائرية بمجموعة من العناصر الثقافية والاجتماعية المركبة والمعقدة في نفس الوقت تنصهر في بوتقة تجمع العادات والأعراف والتقاليد الاجتماعية من جهة ومظاهر التمدن من جهة أخرى، لذا نجد أن هذه الطقوس تتشكل في ما يمكن أن نسميه "مراحل الزواج" أو "عمليات الزواج" لأن الزواج باعتباره حدث اجتماعي لا يتمثل فقط في الحفل فهنالك مراحل طقوسية سابقة له وتمهد للحدث، وهي موروث ثقافي واجتماعي حافظ على بعض جزئياته في حين تعرض البعض الآخر للتغيير، ومن خلال الدراسة الميدانية سعينا إلى إبراز الطقوس المصاحبة لهذه المراحل بثوابتها ومتغيراتها.

**9-1- الاختيار الزواجي:**

يخضع اختيار الزوج(ة) في مدينة عنابة إلى معادلة تمت صياغتها عبر التحولات الثقافية والاجتماعية التي ساهمت في ظهور المدينة ونموها وبقائها عبر التاريخ الحديث، فنجد أن يوجد شكلين من الاختيار الزواجي أحدهما ينم عن الحفاظ عن الإرث المجتمعي منذ العهد العثماني مرورا بالحقبة الكولونيالية وصولا

إلى الفترة الآنية (الاختيار العائلي) أما الثاني فيعكس عن العصرنة المجتمعاتية والتمدن (الاختيار الحر)، ونجد من بين الحالات التي تمت معاينتها في الدراسة حالة تمت عن طريق "الاختيار العائلي"، بحيث تتدخل الأسرة (الأب أو الأم) أو العائلة (الأعمام-العمات-الخالات ....) في اختيار الزوج أو الزوجة، فالزواج من هذا المنطلق "مشروع يقوم على استراتيجيات معقدة تتطلب جزءا هاما من الطاقة العائلية"[26]،

في هذا النوع من الاختيارات تكون الأم الفرد المخول له البحث عن الزوجة المستقبلية للابن، وفي هذه الحالة تسترشد ببعض القيم، المعايير والخصائص التي تفضلها في زوجة ابنها، مثل: المهارة في الأعمال المنزلية وأمور الطبخ، الحياء، صغر السن، الجمال، المستوى التعليمي، المستوى الاجتماعي والاقتصادي للعائلة، وبالتالي فالاختيار الزواجي هنا لا ينطلق من أن "العلاقة العاطفية بين الزوجين شرطا أوليا وأساسيا للزواج (...) إذ أن تزويج الابن لا يعني استقراره لكن هدفه تنمية الموارد المادية والاجتماعية للعائلة بإعادة إنتاج ارثها فيما يخص العلاقات والتقاليد الديناميكية الخاصة بها"[27]، ويعتمد هذا الاختيار في الغالب على "عنصر القرابة فابن العم أولى بابنة عمه إذا ما رغب فيها لأنه كلما كانت صلة القرابة قريبة كان الزواج مشرفا"[28]، لأن الزواج في هذا المنحى يتجه إلى القرابة، الحسب والنسب، لتكوين علاقة ترابط وتماسك بين العائلات.

هنا الابن يستشار في موضوع الزواج وتمنح له الفرصة في إبداء موافقته أو رفضه لفكرة الزواج لكن في قضية اختيار الزوجة يبقى الأمر موضوعا عائليا وليس شخصيا، فرأيه وحده لا يكفي واتخاذ القرار هنا يكون جماعيا.

أما بالنسبة للبنت فببلوغها سن الرشد، لا يحق لها الرفض أو التعقيب عن الخطيب الذي يراه الأب أو العائلة مناسب(...) إن المجتمع ببنائه المعياري المبني على العرف والتقاليد والدين التلاقي بين الجنسين بحيث كان هنالك حاجز صارم ملاحظ بين الجنسين فلا يجب أن يجتمعا معا ويتبادلان أطراف الحديث .

في حين هنالك (09) حالات قد صرح أحد أو مجموع الإخباريين أن الزواج تم وفق ما يسمى "الاختيار الحر" والذي نجد أنه سائد في المدينة، ويعبر عن شكل الزواج العصري أو الإرادة الحرة للمرأة والرجل في الاختيار، وقد انتشر نتيجة موازاة مع فكرة التمدن والتحول الثقافي والاجتماعي التي يعيشها سكان المدن في الجزائر، وبالتالي ظهور النزعة الفردانية في اتخاذ قرار الزواج واختيار الطرف الثاني في العلاقة أمر شخصي لا يخضع لإرادة الجماعة (العائلة)، وإن كان ظهور ذلك في الجزائر يعدو إلى الاحتكاك الاجتماعي والثقافي بين الجزائريين الأوروبيين إبان الفترة الكولونيالية في المدن، وانتشار التعليم والاختلاط بين الجنسين في فترة ما بعد الاستقلال، وما صاحبها من تحولات جذرية مثل خروج المرأة الجزائرية إلى العمل والعمل المشترك مع الرجل، وانضمام الشباب إلى الجمعيات والنوادي، كل هذه التحولات وغيرها ساهمت في إحداث التغير نحو النموذج العصري في الاختيار الزواجي، وهذا ما أتاح للشباب في مدينة عنابة فرصة البحث عن الشريك المفضل، وساعدت الظروف على إتاحة الفرصة للجنسين من دراسة شخصية الطرف الثاني في معادلة الزواج قبل وقوع الحدث في ظروف ملائمة، حيث أصبح كل من الفتاة والشاب يتطلعان إلى للاختيار الفردي القائم على التفاهم المتبادل، التجانس والعاطفة.

أصبح حاليا الميل إلى اختيار الشريك خارج دائرة القرابة هو القاعدة في الاختيار الزواجي مثل: اختيار زميل(ة) الدراسة أو زميل(ة) العمل، أو صديق(ة)، وأسلوب الاختيار العائلي "إضافة إلى دائرة القرابة يلقيان الكثير من النقد والرفض (...) لاعتقادهم بفشل هذا النمط من الزواج وعدم تحقيقه للرضا الزواجي على عكس الاختيار الحر والاغترابي"[29] الذي يحظى بالإقبال الشبابي في مدينة عنابة، ويعتبر العمل من الخصائص الهامة التي يفضلها الشباب في الشريك، حيث أن هذه الخاصية لم تصبح حكرا على الرجال فالرغبة في الحصول على شريك حياة يعمل أصبحت مطلبا للطرفين.

أصبح أسلوب الاختيار الحر سائدا في مدينة عنابة، وان كان هذا النوع من الاختيار له ايجابياته وسلبياته، إلا أن الأمر لا يتوقف عند البحث والتمحيص في ما لهذا الأسلوب وما عليه، بل إن الموضوع يدفعنا إلى الكشف عن نطاق خفي يحدث أثناء هذه العملية وخاصة في حالة عدم اتفاق الإرادتين (الآباء والأبناء) حول الشريك، أين يظهر الصراع بين الطرفين في موضوع الاختيار حيث يتصادم الموقف التقليدي للآباء مع إرادة الأبناء في تحقيق مكسب الاختيار الزواجي، "فالآباء أثناء الاختيار للزواج يتصورون أنهم باختيار للشريك من عائلة المصاهرة والقرابة سوف يحتفظون بمهمات كثيرة مع أبنائهم، بينما يرى الأبناء أنه باختيارهم الفردي للشريك والمبني على العاطفة المتبادلة سوف يضمنون التوازن في حياتهم الزوجية المقبلة" وأمام هذه الحالة من الصراع يحاول الطرفين إيجاد وضعية رضا مشتركة حول اختيار الشريك وهنا تبدأ عملية التفاوض في ظل طلب مباركة العائلة للزواج كعملية وللشريك كعضو جديد في العائلة أمر مقدس، لذا نجد سيناريوهين اجتماعيين ممكنا الحدوث في هذا الموقف.

*الحالة الأولى: أن يضحي الابن(ة) بفكرة اختيار الشريك أمام إرادة العائلة وذلك انطلاقا من مبدأ أن إرضاء الآباء من إرضاء الله، ليجعل هذه الإرادة ذات بعد قدسي، يرتبط بالطاعة والخضوع من أجل الحصول على مباركة الزواج "البَرَكَة."

* الحالة الثانية: يتمسك الأبناء باختيارهم بعد بذل جهود مضنية لإقناع العائلة بحسن الاختيار، وكفاءة الشريك، وفي هذه الحالة لا يبقى أمام العائلة سوى قبول الأمر مع الإقرار بأن كل ما سوف يترتب عن هذا الزواج من خير أو شر يتحمل الأبناء تبعاته، وبهذا تمنح الموافقة المصطنعة إلى هذا الزواج، وربما لا تمنح البركة ولا حتى المساعدة المادية والمعنوية، مما يجعل الأمر صعبا على الأبناء وفي بعض الأحيان يتخلون عن إرادتهم في مقابل هذه الظروف القاهرة، ويخضعون لإرادة العائلة، لأن المجتمع العنابي وبالرغم من التمدن الظاهر عليه فإن التقاليد المرتبطة بالاختيار الزواجي لا تزال خاضعة لمبدأ الشراكة في اتخاذ

القرار(بين الآباء والأبناء)، وإن كان هنالك تغير فهو لم يبلغ المدى الذي يمكن من خلاله أن نصف أن اختيار الزوج(ة) في المدينة هو اختيار حر، فإن التغير الذي يحدث رغم أنه مستمر فهو تغير بطيء، وتأتي بعد مرحلة المجابهة والاستقرار في اختيار الزوج(ة) مرحلة التثبيت الاجتماعي لهذا الخيار.

**2-9- الخطوبة "الخُطْبَة":**

تأخذ "الخطبة" في مدينة عنابة على مراحل متعددة ومتتالية تبدأ أولا في زيارة أم الشاب لعائلة الفتاة ولمقابلة الأم ويتم في الغالب هذا اللقاء بحضور من (01-03) نساء من جهة العريس وكذلك بالنسبة للعروس وفي الغالب هن: عمات أو خالات أو زوجات الإخوة، ويتم اختيارهن من قبل الأم وفق مواصفات محددة مثل شدة القرابة، الخبرة في مثل هذه المواقف، وتبدأ هذه الجلسات بالحديث في قضايا عامة ونسائية، حيث لا تشارك الفتاة في هذه الجلسة وإنما تحضر فقط عندما يتم استدعائه، حيث يتم التعارف بين العائلتين وتبادل أطراف الحديث بحثا عن فرصة لتناول موضوع الزيارة وتكون هذه الجلسة قراءة جدية ومستفيضة من طرف أم الابن(ة) للطرف الآخر بحثا عن المواصفات المحددة سلفا في العائلة المرجو مصاهرتها، وغالبا ما تكون هذه الزيارات في الفترة الصباحية وأحيانا في فترات المساء، ويستمر الحديث لساعات طويلة إلى أن يصل الأمر للحديث في قضية "الخطبة" أين يتم إعلان نية خطبة الفتاة من طرف أهل الشاب ويطلب رأي الفتاة وحينها تتدخل أم البنت لإعلان موقف العائلة الرسمي من هذا الزواج، بعد أن تكون قد تشاورت مع ابنتها وزوجها، وهنا يطلق على المرحلة الأولى بـ "الكَّلْمَة" كما توضحها الإخبارية بقولها " كِيْ يَتَفَاهَمُوا النِّسَاءَ فِي بَعْضَاهُمْ نقولوا عَطاُو عَلَاهَا الْكَلِمَة "(لما تلتقي النساء يكون خطبة الفتاة بشكل مبدئي) ولتصبح الجلسة عبارة عن بروتكولات لابد منها من أجل المرور إلى المرحلة الموالية.

وبعد إعلان الموافقة على لسان أم الفتاة، ينطلق الطرفان إلى مناقشة الأمور المترتبة عن الخطبة بما في ذلك "الصداق" (المهر)، و" الشَّرْطْ" (الشروط والمستلزمات المالية والمادية) وكذلك النقاط الهامة والثانوية التي تخص قبول الزواج، وبعد هذا التفاوض العسير بين الطرفين، ليتفقا على تحديد موعد "الخُطْبَة"(الخطوبة).

يأتي في هذه المرحلة مهمة الرجال، أين يُخْبِر والد العريس، أقاربه من الرجال عن نيته في خطبة فتاة لابنه ويجمعهم في اليوم المتفق عليه وفي موكب محدد مابين (05-10) أشخاص يذهبون في زيارة لأهل العروس وذلك بحضور العريس و"الطَّالْب" أو " شَيْخُ الجَّامْع"(الإمام أو معلم القرآن)، وتكون الجلسة في الغالب بعد صلة العصر أو في الفترة المسائية، حيث يجتمع الطرفين في بيت العروس لتبادل أطراف الحديث والتعارف، وبعد فترة وجيزة يتكلم أحد كبار السن من جهة العريس أو الأب ليعلن طلب "خطبة" الفتاة للشاب، بقوله " جِينَاكَ بِالنَّسَبِ وَالْحِسَبِ نطلبوا بَنَتْكَ فُلَانَة (يذكر اسمها) لِوْلَّدْنَا فُلَان(يذكر اسمه)"، ليرد عليه والد الفتاة بصيغة تؤكد قبول "الخطبة": " كَانْ عَطَاكْ عَطِيَّتكْ" (إذا منحك الله فهي خطيبة ابنك) ثم يسأل أب الشاب عن شروط أهل العروس ليجيبه والد العروس "الهنا(الهناء) السِتْر وَرَاحَة الْبَال" ثم يصر الأب على السؤال فيجيبه والد العروس بالشروط، وهنا يعلن أب العريس الموافقة بعبارة "قبَلْنَا"، ثم يتم قراءة "الفاتحة" من باب التوفيق، وإتمام الأمر ليأخذ الوضع شكله الاجتماعي المقبول (العلاقة بين الشاب والفتاة) وليتم بذلك (عقد القران الشرعي) تمهيدا لمرحلة ما بعد الخطوبة من لقاءات يمكن أن تجمع ما بين الخطيبين، حيث ستتم هذه اللقاءات في ظل الشرعية الاجتماعية، ويتم في مرحلة لاحقة وبين العريسين تعيين التاريخ لعقد القران المدني ويسمى "العَقْد" بين الطرفين أي تسجيل عقد الزواج في الحالة المدنية.

جرت العادة في المدينة أن تكون الفترة الفاصلة بين الخطبة والعرس لا تتجاوز السنة، إلا أنه ونظرا لكثرة متطلبات العرس أصبح الفترة أطول من ذلك فقد تستمر لسنوات، خاصة وإن كانت الفتاة لا تزال تزاول دراستها أو أن العريس لا يستطيع ماديا توفير كل ضروريات وشروط أهل العروس في فترة وجيزة.

**3-9- جهاز العروس "الملاك":**

بعد الخطبة بفترة يبدأ الأهل بمشاركة العريس في تحضير جهز العروس "المْلَّاك" وتبدأ هذه المرحلة باقتناء مستلزمات العروس من مستلزمات "الشُوْرَة" وذلك وفقا لما توصلت إليه المفاوضات النسائية السابقة بين أم العروس وأم العروس، وكذلك حسب الإمكانيات المادية للعريس، ويضاف إلى ذلك بعض مواد التجميل، الحناء والشموع وبعض الحاجيات النسائية، التي تسهر أم العريس أو إحدى القريبات على اختيار نوعها ولونها، ثم يتم وضع هذه المشتريات بشكل مرتب في حقائب خاصة تكون في الغالب ذات أحجام متنوعة، أين توضع الثياب معا في حقيبة والحاجيات الأخرى توزع على حقيبتين أو أكثر، ويمنع على الأهل أو الأقارب الاطلاع على محتويات الحقائب بل تحفظ في مكان بعيدا عن الأعين إلى غاية تسليمها إلى العروس وأهلها، ويفسر هذا أنه اتقاء للعين والحسد وكذلك منعا لأي سحر يمكن أن يوضع في هذه الحقائب ويسبب الأذى لإحدى الطرفين، كما يتم اقتناء قفة مزينة بالورود خاصة بالعرس يوضع فيها صابون الاستحمام، الغاسول السائل، قنينات العطر والحنة.

وبعد تجهيز "الملاك" وقبل أيام - وفي العادة لا يتجاوز أسبوع من تاريخ إقامة العرس- وفي موكب استعراضي يتألف من بعض قريبات أهل العريس يتم نقل "الملاك" إلى بيت العروس في وسط الزغاريد وبحضور "فرقة العِيسَاوة"[30] أين يستقبل أهل العروس الموكب بالترحاب وتقام بالمناسبة حفلة صغيرة في بيت العروس بمشاركة أهل العريس، وتتوسط العروس "القَّعْدَّة"(الجلسة) وتكون في لباس قندورة "فْرقَاني" ومتزينة بالحلي والمجوهرات، وتختلف مدة الاحتفال من عائلة لأخرى، وغالبا ما تبدأ العملية في فترة الصباح لتنتهي في فترة ما بعد الظهيرة.

**4-9- موعد العرس:**

العرس في مدينة عنابة يرضخ لمنظومة زمنية متعارف عليها ربما ارتبطت بالطابع الريفي لأصول أهل المنطقة وتقاليد الأجداد وتأقلمت بطابع التمدن، ولحفلة الزفاف عادة ما يتم في فصل الصيف وهي الفترة المفضلة عند الكثير من أهل المدينة ليتسنى الاستمتاع بالأجواء الصافية وطول فترة النهار في فصل الصيف مما يمنح العائلات مدة أطول لحضور والاستمتاع بالحفل وهذا ما صرح به أغلبية الإخباريون فيقول أحد العرسان "عرسي درتوا في الصيف، عندي أحبابي والعائلة كلها تخدم غير في الصيف يقعدوا ويقدروا يجيوا" ونجد أن إجابات الإخباريون عن الوقت المفضل لإقامة الأعراس تجمع على فصل الصيف، مما يؤكد ويدعم أن اختيار هذا الفصل يعود إلى جملة من الأسباب التي عددها الإخباريين في أن هو الفترة الزمنية التي يعرفها الموظفين والعمال العطلة السنوية، مما يسهل حضورهم لمراسيم حفل الزواج، أما بالنسبة للنساء فهو يعبر فترة عطلة الأبناء المتمدرسين مما يسمح لهن بحرية أكبر في التحرك (باصطحابهم للأطفال للعرس أو تركهم في المنزل)، أما المدة المخصصة لمراسيم حفل الزواج فهي يوم واحد ويقول أحد الإخباريين (60 سنة) " حَنَا بِكْري كُنَّا خُيِّر مِنْ ذَرَك الْعُرْس كَنَّا فِي سَمَّانَة (أسبوع) أَكْثَرْ الْقَرِيب وَالْبَعيد وَذُرَكْ (الآن) لَيْلَة وَطَبَق (وانتهى الفرح)" وهذا ما يفسر توتر العلاقات الاجتماعية وتقلصها، كما أن الكثير يفسر ذلك الاختلاف والتعارض في المصالح بأزمة السكن (الضيق) الذي أصبحت تعاني منه الكثير من العائلات وأصبح بذلك من المشاكل الاجتماعية حيث أصبحت دعوة العرس تقدم وفق شروط مسبقة بينما كان يشارك جميع أفراد العائلة، الأهل، الجيران والأصدقاء (الكبير والصغير) فأصبحت تقتصر على البعض منهم فقط (العائلة وبعض الأهل والأصدقاء)، وتقام في أماكن مخصصة لذلك (قاعات الحفلات والأعراس) بدلا من المنزل العائلي أين يكون العرس ذو طبع اجتماعي عائلي، فإن تقليص مدة الاحتفال إلى يوم واحد كان له تداعيات على التواصل الاجتماعي داخل العائلة الكبيرة، حيث أن هذا التقلص كان سبب من أسباب -أو نتيجة- تفكك الروابط الاجتماعية في العائلة الكبيرة (الامتداد الأسري)، كما أن التقلص لم يصبح فقط، في الزمن وإنما كذلك في العدد (الحجم)، حيث أصبحت الدعوة إلى العرس محددة (غير مفتوحة) في أشخاص بذاتهم عبر طقس جديد أصبح يعرف بـ (تذكرة الدعوة) لينتقل حضور العرس في حد ذاته من واجب اجتماعي إلى حظوة اجتماعية (تفضيل اجتماعي) ويرجع البعض من الإخباريين ذلك إلا أن تقليص عدد المدعوين إلى العرس بالظروف الاقتصادية للعائلة، فيقول إحدى الإخباريون من أهل العريس (50 سنة) "الْوَاحِد يُدِير عَلَى قَدْ حَالهُ مَا وَمَا يَحْصُل" أما آخر في إحدى المراسيم (65 سنة) يقول "قَلِلْ وكَبِرْ" وهكذا فالعلاقة بين القرابة والزواج في المدينة اليوم يعيشان- في عصر الحداثة- في سياق معادلة جديدة تحكمها تفاعلات مادية لا-تقاربية تختلف عن الماضي وهي تَّقِل في ارتباطاتها كلما اتجهنا نحو جيل الأبناء .

أما المفضل من الأيام لإقامة العرس فيجمع الإخباريين على أنها تقام في نهاية الأسبوع، في الأيام التالية: (الخميس، الجمعة والسبت)، ويفضل أن يكون الحفل بعد صلاة المغرب مباشرة ويستمر الحفل إلى ساعات متأخرة من الليل ويمكن أن يستمر إلى ساعات متأخرة من الليل.

باتفاق الطرفين يتم تحديد موعد العرس والذي في الغالب يكون لأسباب عدة من بينها اختيار الزمن الذي يتلاءم وتفرغ المدعوين لحضور مراسيم الزواج مثل: العطل الموسمية ونهاية الأسبوع - كما تم توضيحه سابقا- وكذلك لتقديم الفرصة للطرفين لاستكمال قضاء متطلباته وحاجياته، وكذلك أن يتلاءم اليوم المحدد مع جاهزية المرأة جسديا ونفسيا بحيث لا يكون التاريخ المحدد ضمن الأيام المتوقعة للعادة الشهرية، وهذه القضية ضرورية بالنسبة للطرفين لذا تسعى العروس جاهدة لإجراء الحسابات المناسبة لذلك، ونجد أن الأعراس التي تقام يحدد تاريخها (الشهر) الذي يقام فيه العرس بموعد يصل إلى 09 أشهر قبل الزواج، أما التاريخ بالتحديد(اليوم) يبقى إلى ما لا يتجاوز 03 أشهر -في أغلب الأحيان- لأسباب ترجع إلى عدم قدرة العروس على تحديد جاهزيتها الجسدية إلى اجتياز ليلة الدخلة، وإن كان الحديث في هذا الأمر لا يشكل طابو (Tabu)فكريا عند العروسين وذلك مع تفتح الشباب (ذكور وإناث) لمناقشة هذه القضايا فيما بينهم .

يصعب على العروسين أو الأهل في حالة ما تم تحديد تاريخ العرس أن يقوموا بتغيير هذا التاريخ بشكل طبيعي أو مفاجئ دون وجود سبب قاهر لإحدى الطرفين، وفي الغالب يكون حالة وفاة في إحدى العائلتين مما يستدعي تأخير حفل الزواج إلى مدة يتم الاتفاق عليها، وكما يؤكد ذلك أحد الإخباريين (رجل-65 سنة) " بِكْري (قديما) يُسْرَى قَرَّح (حالة وفاة) نوخروا الْعُرْس عَامَ (سنة) ودركا (الآن) بسمانة (أسبوع) وإلا حَتَّى يُفَوِّتُ الرَّبْعِيْنْ (أربعين يوم)، وَبَعْدَ يَطْلُبُوا السَّمَاح مِنْ أَهْل الميت وَيُدِيرُوا الْعُرْس (يقيموا الحفل)" وذلك ما يجعل تغيير موعد العرس لا يتم اعتباطي أو بصفة فردية وإنما يخضع وبشكل صارم إلى المحددات الاجتماعية التي تحدد مجال الحرية لكلا الطرفين (العروسين والأهل) وتلزمهما بضوابط منها تاريخ إقامة الحفل والتي تسمى بـ "الكَلْمَة" وهي تعتبر ارث اجتماعي يعود بنا إلى التقاليد في المجتمع الريفي أين تمثل "الكَلْمَة" الرأس المال الحقيقي لأهل الريف.

**5-9- الدعوة "العَرضَة":**

بعد تحديد موعد العرس، يقوم الطرفين في مرحلة مبدئية بإعلان الخبر شفهيا، والآن ومع التقدم التكنولوجي يستخدم الهاتف لإخبار الأهل والأحباب ويتم تناقل الخبر من شخص إلى آخر، وكما يصرح أحد الإخباريين بقوله(65 سنة) " هَذَا يُقَوِّل لِهَذَا حَتَّى يُوَصِّل الْخَبَر"، وفي هذا امتدادا إلى الجانب التقليدي في نقل الأخبار عن الأفراح والمناسبات حيث يعلمنا أحد الإخباريين بقوله(60 سنة) "أَحَنَا مِنْ بِكَرَّيْ رَانَا نتلاقوا مَعَ الْأَحْبَاب وكاش جديد جَديد فَرَح وإلا قُرَّح رَانَا رانا نعلموا بيه مَنْ عِنْدهُمْ" لأن أفراد العائلة وبالرغم من التباعد الاجتماعي الحاصل الآن إلا أن ذلك لا يمنع سكان مدينة عنابة من خلق مجالات للتواصل الاجتماعي،

مثل: المقاهي وأماكن العمل وغيرها، وهذه المجالات الاجتماعية أبقت على طرق نقل الأخبار عبر الاحتكاك بالآخر والإبقاء على قنوات نقل الأخبار وهامش العلاقة مع الآخر.

أما المرحلة الثانية من الإعلان فهي تتم عبر طريقتين، حيث أن حضور مراسيم حفل الزواج لا يتم إلا بناءا على دعوة (بطاقة دعوة) شخصية من العريس أو الأهل (الأب أو الأم)، يتم تسليمها باليد أو إرسالها مع أحد أفراد العائلة مع محادثة الفرد المعني هاتفيا لتأكيد الحضور، وعادة ما تبدأ دعوة الأقارب أولا ثم الأصدقاء، وفي الأخير الجيران بأسبوع أو أكثر من تاريخ إقامة الحفل، ومن جهة العروس تتكلف بهذه العملية الأم أو أختها الكبرى وإحدى قريباتها، ولا يتم إرسال فتيات صغيرات فقط لأنه يرى أن لطريقة الدعوة دورا كبيرا في تحديد مكانة المدعوين ويظهر ذلك من خلال قول إحدى النسوة (70 سنة) " احنا اللَّيَّ نعرضورها لعراسنا رَانَا نكبروا بِيَهَا" بمعنى أن المرأة المدعوة للعرس هي ذات مكانة قرابة أو محبة للعروس وأهلها حيث تظهر (العروس أو أمها) إلحاحها ورغبتها في مجيئها.

**6-9- حمام العروس:**

تبدأ طقوس حمام العروس يوم أو يومين قبل إقامة العرس حيث تذهب مع أقاربها أو صديقاتها المقربات، إلى الحمام الشعبي ومن ذلك نجد أن حمام المدينة العتيقة "بلاص دارم" والمعروف بـ"حمام العقبة" هو أقدم وأشهر الأماكن في المدينة والذي يستقبل الكثير من الفتيات فلقد اكتسب عبر الأحقاب الزمنية المتتالية شهرة وصيت واسع في المدينة، والحمام الشعبي هو عبارة عن فضاء واسع تمارس فيه العروس كل طقوس العناية بالجسم والشعر، وتبدأ هذه الطقوس بالعناية بالجسد في مرحلة أولى نزع الشعر الزائد عن الوجه وفوق الشفة العليا وتحت الإبطين وعلى الساقين، الذراعين والأماكن الحساسة التي يكثر فيها الشعر، وذلك باستعمال ما يعرف بـ "لأَسِيْرْ"[31]، المساعد على نتف الشعر، ثم يتم تحضير خلطة من الأعشاب البرية مثل: زهرة البابونج، عشب الزعتر والإكليل، بالإضافة إلى تحضير "اللِيفَة"، ليدلك بها جسم العروس، والحجر الأبيض لتدلك به القدمين لمنح الجلد نعومة، ويحضر لها أقنعة طبيعية لوجهها وبعض الأماكن في جسمها، مثل: قناع الطين وماء الورد إلى جانب قناع البيض والحمص وقليل من زيت الزيتون والليمون، وخلطة الصابون الأسود الخاص بالشعر.

يقسم حمام العروس الى أربعة مراحل طقوسية، هي: أ/ حمام البخار وباستخدام اللفة وبعدها التنظيف بماء فيه "عشبة الخزامى" و"شواشي الورد" (بتلات الورد)، ب/ مرحلة التقشير والترطيب، ج/ مرحلة وضع الأقنعة الطبيعية لإعطاء صفاء ونقاء لوجه العروس التي تستعمل كذلك "مسحوق الشبة" المتكون من "العنبر"، "المسك" و"الشب المرحي" لشد المسامات والحفاظ على رائحة الجسم، خاصة أن هذا الخليط يدلك مع ماء الورد لاكتساب النعومة. د/ خلطة "لُوْشْ" أين تضعه فوق المعصم، ويتكون عادة من خليط البيض وماء الزهر والحنة، ثم ترسم به أشكال جميلة لجلب الناظرين إليها، لأن "الحرقوس" بعنابة فأل خير على العرائس أياما قبل زفافهن. وبعد انتهاء هذه الطقوس ترتدي العروس "قندروة الحساب" مع البرنوس، تخرج العروس من الحمّام رفقة مرافقها، واللواتي يعلن عن خروج العروس، لتطلق النسوة الزغاريد والدعوات بطول العمر والذرية الصالحة، ويسمى ذلك "الخلوة" وبعد الحمّام تعود إلى بيت أهلها، وذهاب العروس إلى الحمام يعتبر من المراسيم الهامة الذي يتوجب عليها القيام بها قبل حفل الزواج بيوم أو يومين وربما في صبيحة يوم الاحتفال بالعرس كما جاء في تصريحات مجموعة من الإخباريات.

**7-9- قَعْدة العروس (مجلس العروس):**

تستيقظ العروس يوم الاحتفال بالعرس باكرا وتتوجه إلى " المْاشْطَة "[32] لتوضب لها تسريحة الشعر وساعة قبل موعد التصديرة، تحضر "الماشطة" إلى قاعة الحفلات وتصحب العروس إلى غرفة خاصة، حيث يمنع على بقية الحضور من النساء سواء كانوا من قريبات العروس أو العريس من دخولها -سوى أمها- من أجل تهيئتها، وهنا تبدأ طقوس "التصديرة" التي من خلالها تقوم العروس بارتداء لباس تلو الآخر وتطوف في القاعة على الحاضرين لتبين لهم جمالها وكذا مكانتها الاجتماعية، وإن كان هذا الطقس من أجل إظهار جمالها ومحاسنها إلا أنه يلعب دورا كبيرا في التفاخر الاجتماعي والتباهي بين العائلات في مدينة عنابة فالغرض منه المنافسة على الطبقة الاجتماعية، وتقول إخبارية (62 سنة) " راه تَصْدِيرَة بَنَتْ فُلَانَ خَرَجْتِ كَذَا وَكَذَا" فكل عروس تحاول أن تظهر بصورة أحسن من الصورة التي ظهرت بها القريبة، الجارة أو الصديقة من حيث عدد الألبسة، نوع القماش وطريقة الخياطة، فكلما زادت عدد "الألبسة" يتضح أن العروس ذو مكانة مادية واجتماعية مرموقة، وقد تصل "تصديرة" العروس إلى عشرة ألبسة أهمها: "الجبة" أو"قَنْدُورَة الفْرقَانِي"[33]، "قَنْدُورَة الفتْلَة"[34]، "قَنْدُورَة المَجْبُودْ"[35]، "الدْلاَلَة"[36]. وغيرها من الألبسة التقليدية التي تقوم بعرضها بشكل مبهر تحمل زخما من الألوان والتصميمات، والتي تحمل معان ودلالات متعددة، تختلف بالطبع من مستوى إلى آخر، ولكن تشترك معظمها في خاصية واحدة وهي إبراز عامل الفرحة لدى العروس والجمال الذي يطبع هذا الحدث، ويمكن تقسيم هذا العرض إلى نوعين محوريين من الألبسة.

-النوع الأول : اللباس التقليدي الذي يرتبط بالأصالة والعادات وفي بعض الأحيان نجده ينتمي إلى مناطق متعددة من أرض الوطن مثل : الكراكو (مدينة الجزائر) الفرقاني (مدينة قسنطينة) القفطان (مدينة تلمسان).

-النوع الثاني : اللباس العصري مثل ما وجدناه في بعض حالات الدراسة، الزي الهندي، فستان حريم السلطان (التركي)، فستان العروس(الأبيض) وغيرها.

يصاحب هذا العرض ارتداء الكثير من المجوهرات التي تتلاءم و"التصديرة"، منها: "سخاب الجوهر الأبيض"[37] "سخاب العنبر البني" أو "سخاب العنبر الأسود" "المخبل" "الخلخال"، ويصاحب هذا العرض الموشحات الطويلة المستوحاة من التراث الشعبي والمدائح الدينية، المرفوقة بإيقاعات البندير والزغاريد، والتي تدوم طيلة الليل، في الغالب تكون موسيقى "المالوف"[38] أو "الفقيرات"[39] ومؤخرا أصبح مقدم الأغاني المسجلة "Disk Jokey" البديل عن الفرق الغنائية الشعبية التي أصبحت مكلفة.

وفي الأخير، تلبس العروس الفستان الأبيض (la robe blanche)[40] ، الذي هو وريث "الشَدْة" وهو لباس تقليدي أبيض اللون كانت تلبسه العروس في مدينة عنابة في الزمن القديم، ولقد تم عصرنتها وفقا للموضة، لكن هذا الاستبدال حافظ على اللون الأبيض لما له من دلالات سوسيو-ثقافية خاصة بمناسبة الزواج، فاللون الأبيض يرتبط في الثقافة الشعبية للمنطقة بقضية الحظ والسعادة وهذا ما نجده في قول الأم للعروس ليلة عرسها " اللَّهُ يْبَيِّضْ سَعْدْكَ يا ابنتي."

وتجلس العروس في كرسي أعد لها خصيصا يتوسط القاعة ويكون على اليمين يقابله كرسي العريس على اليسار، وتجلس في انتظار دخول العريس الذي يعطى له الإشارة من طرف أحد قريباته بالتنسيق مع أهل العروس، وتقريبا في نهاية العرس للدخول إلى مجلس العروس.

**9-8- الحنة (الحناء):**

الحنة من الطقوس المصاحبة لإعلان الزواج في مدينة عنابة لدى العريسين، وتتم في يوم العرس، وكما يقول إحدى الإخباريين (62 سنة) "حنة العريس في عرسوا، وحنة العروس في دخلتها"، وتتميز الفتاة في مدينة عنابة بوضع "الحنة" و"الحرقوس" حتى بدون مناسبات احتفالية، وبعد أن تلبس العروس "اللَفْة" استعداد لـ " الْحَنَّة" وهو لباس باللون الزيتي مصنوع من "المَجْبِودْ" أو "الْفَتْلَة" الذي ترقص العروس به مع حماتها، ويتكون من منديل بلون ذهبي يسمى "مَحَرَّمَة أَزْبَدَة" مع "الفْتُولْ" مرفوقة بـ "قبعةُ شَاشِيَة"[41] مزينة بالذهب كذلك من "الرَشَّة" لجبين "زِينَة الْخَدّ"، تتقدم أم العريس للعروس تلبسها المجوهرات والخاتم وتعرض أمام الحضور المجوهرات التي أهدتها إلى "كنتها"، وتبدأ بخلط الحنة، ثم تضع لها الحنة على أصابعها فقط. وبالتدرج ويسمى ذلك "عشق وفريد" وهناك طريقة أخرى تسمى " خَيِّطْ الْحَنَّة"، وفي هذه الطريقة تتقدم أم العريس - في الغالب أو أحد النساء من قريباته مثل: جدته، عمته أو خالته - وهي تحمل صينية بها صحن الحنة المبللة بـ "ماء الورد"، وتحيط بها الشموع والعنبر، بالإضافة إلى وشاح أبيض مزين يوضع على حجرها وكذا القفازات البيضاء الناصعة، لتباشر المرأة في وضع الحنة في يد العروس وتغطيها بالقطن وهنا تتوقف الموسيقى والرقص وتبدأ أغنية خاصة بالحنة وفي الغالب تنشطها "الفقيرات"، ممزوجة بإيقاع "البَنْدِيرْ" و"الدُفُّ"، ويتخلل "القَعْدَّة" "التَبْرَاحْ" أو "الرَشْقِيَة"(منح مبلغ من المال كهدية) على العروس التي ترتدي في تلك الليلة وشاحا لوضع الحنة المرصعة بماء الزهر وتقوم النسوة بإطلاق الزغاريد.

وأهم ما يميز القعدة هو تعطير المجلس بالبخور والعنبر، وإحضار "كَانُونْ" من الفحم لتسخين "البندير"، ثم توزع ما تبقى في طبق الحنة على الفتيات العازبات، وتفسر ذلك إحدى الإخباريات (70 سنة) "الْفَال مَلِيحَ بَاهْ يُزَوّجُوا" والمقصود من ذلك أن هؤلاء الفتيات يحافهم الحظ في الزواج في الوقت القريب، لتنطلق أهازيج وأغاني الفقيرات مصحوبة بالزغاريد والرشقة، ثم يعرض "المْلَالكْ" (الهدايا) على الحضور.

ولعل الأمر الذي يطبع حنة العروس هو توزيع الحلويات التقليدية، وعلى رأسها "المقروظ المعسل"، و"الرفيس" المرشق بالمكسرات، مع اللبن ولا يتم تقديم في الحنة الشاي أو القهوة لأن ذلك يجلب الفال السيئ "النحس" للعروس أو للعروسين.

أما بالنسبة لحنة العريس -كما أشرنا سابقا- فتتم بعد وليمة العشاء الخاصة بحفل العريس، وفي وقت متأخر من الليل يصل إلى في منتصف الليل يقوم بعض أصدقاء العريس دون حضور الأب وكبار السن من أهل العريس أو العروس، ويعتبر هذا الطقس بالنسبة لكبار السن شبابي لا يجوز لهم حضوره لذا يحافظون على مبدأ عدم تواجدهم ضمن المجموعة التي يتم اختيارها من طرف العريس لتشاركه هذا الطقس، فيتم تهيئة مجلس خاص يحتوي على طويلة كبيرة تحيط بها كراسي في الجهتين، وتحتوي على أنواع شهية من الحلويات "المَقْرُوظْ الْمْعَسْلْ" و"البَقْلاَوَة" و"قَرْنْ الغزال" وكلها حلويات تصنع من اللوز والفستق والبندق، وتتفنن العائلات في تقديم الأحسن والأرقى منها خلال حفلة العرس، بحيث توضب في علب منفردة، تحمل كل واحدة منها أربع قطع حلوى وتزين بالأشرطة الملونة وتسلم للمعازيم أثناء الحفلة، أو في أطباق زجاجية وعلى رأس هذه الطاولة يوضع كرسي خاص بالعريس و"طبق الحنة" تحضره والدة العريس ويحتوي على "حنة" و"ماء ورد" و"شموع" و"زهور" وأدوات زينة ويتم استدعاء امرأة كبيرة في السن عمة العريس أو خالته أو إحدى قريباته، -وبدون حضور الأم- تقوم بوضع الحنة على أصابع العريس (الوسطى والسبابة فقط لليد اليمنى) في جو من الأهازيج والأغاني الشبابية "الراي"، وبعد ذلك كما يقول احد الإخباريين (59 سنة) "يْحَنّي اصحابوا اللّيَ مازالوا مَا تزوجوش يَحْنُو وَرَّاهُ بَاهِ يَلْحَقُوه" وبعد أن تنتهي الحنة يعزفون موسيقى ويقف كل الشباب من الحضور للرقص ويقدمون للعريس ما يسمى "الهدية" أو "العَوْن" وفي حنة العريس لا تحضر النساء من باب "الحرمة" و"العَيْبْ" لأن العريس يكون في "مَجْمَعْ" من الرجال أو أصدقائه ولا يجوز تواجد النساء ولو حتى كبار السن من العجائز أو الفتيات الصغيرات.

**9-9- وليمة العشاء:**

يكون في نهاية الأسبوع أما عند العروس فتقدم ليلة الدُخْلَة، وهي وجبة عشاء تقدم في الغالب بعد صلاة المغرب وتستمر إلى بعد صلاة العشاء -في بعض الأحيان- تنطلق بعد حضور المدعوين من الأهل والأقارب والأصدقاء والجيران، وهي مصاحبة لما يسمى بحفل العريس.

حيث يحضر جمع غفير يعد بالعشرات -وفي بعض الأحيان بالمئات- لهذا الحفل، لذا يقوم أهل العريس بذبح خروف أو اثنين وفي بعض الأحيان عجل أو بقرة - ذلك حسب الأعداد المتوقعة لحضور الوليمة.-

كما يتم شراء المستلزمات والحاجيات الضرورية من خضر، الفواكه والمشروبات الغازية وغيرها، ويتم استدعاء طباخ محترف لعملية إعداد الوجبات والذي يبدأ عمله في صباح ذلك اليوم، أين يقوم بالاتفاق مع أهل العريس لإعداد وجبات يقومون بتحديدها وفقا لإمكاناتهم المادية، ومع ذلك فهي لا تخرج عن عادات المنطقة في إعداد وتقديم وجبات تكون غنية بالبروتينات وتركز كثيرا على اللحوم بأنواعها البيضاء والحمراء .

تقدم الوجبات للحضور الذي يشكلون مجموعات في الغالب تتكون من أربعة أشخاص في طاولة وقد يتجاوز العدد إلى (06) أو (08) أشخاص حسب الترتيبات التي وضعها أهل العريس، يقوم بعض الشباب من الذي تم اختيارهم من بين الحضور على خدمة المدعوين، حيث يتقدم الشاب وهو يحمل "صِينِيَّة" تحتوي على طبقين رئيسيين وطبق ثانوي بالإضافة إلى "السلاطة" والفواكه، مع العلم أن الطاولة في الغالب وقبل جلوس المدعوين تكون قد وضبت بشكل يوضح من خلالها عدد الأفراد في كل طاولة من خلال وضع عدد الكراسي المناسب وعلى الطاولة توضع أمام كل كرسي منديل وملعقة وسكين وزجاجة من المشروبات، مما يسهل على المدعوين الجلوس في المكان المناسب، ويعتبر ذلك نوع من تنظيم أماكن الجلوس وتسهيل العملية على الشباب في توزيع الوجبات بشكل يمكن معرفة معه الأماكن الفارغة أو الأفراد الذين لم يتم تقديم الوجبات لهم.

بالنسبة لأطباق المقدمة في الوليمة فإن الطبق الرئيسي الأول يكون في الغالب إحدى الأطباق التالية: "الشربة" "الكسكسي" "الشخشوخة" ويتم تحضير الأطباق بضرورة إضافة اللحم على عدد الأفراد في الطاولة بحيث يحصل كل واحد منهم على نصيبه الخاص من اللحم، أما الطبق الرئيسي الثاني يكون في الغالب إحدى الأطباق التالية: "دولمة"، "طاجين بو نارين" "دجاج محمر"، أما الطبق الثانوي فيتمثل في إحدى هذه الوجبات: "شباح الصفرة" أو "المَرْقَة الحُلْوَة"، أما السَّلَطَة وقد يكون معها "سلطة خضروات" "حميص مْشْوِيَّ"، وبالنسبة للفواكه فلا توجد فاكهة محددة يتم التركيز عليها فنجد أنه يتم اختيار فاكهة موسمية فمثلا في فصل الصيف يتم تقديم العنب، الخوخ، أو الموز، وتقدم الوجبات على شكل دفعة واحدة للحضور، أين يبدءون في تناول الطعام في جو من الحميمية، أين يتم تبادل أطراف الحديث في مواضيع شتى، وبعد الانتهاء من الأكل يغادرون أماكنهم ليتركوا المجال لمجموعة أخرى من المدعوين وهكذا يتوالى الأمر إلا أن يتناول العشاء جميع المدعوين.

يهتم أهل مدينة عنابة بالوليمة اهتماما يؤكد مكانتها في طقوس العرس العنابي، حيث تؤكد تمظهراتها المكانة المادية والاجتماعية لأهل العريس وقدرتهم على إقامة وليمة تليق بزواج أحد أبنائها، وذلك باختيار أصناف من الوجبات تكون مكلفة وبزيادة نصيب كل شخص من المدعوين وكمية اللحم الممنوحة له بالإضافة إلى الزيادة في عدد المدعوين.

**9-10- السهرة والحفل:**

يقاطع هذه الأغاني بين الحين والآخر أشخاص من الحضور يقومون بما يسمى "التَشْيِدة" أو "التَبراحْ"[42] حيث في بعض الأحيان تكون هذه من مهمة المغني (في حفل العريس) أو المغنية (في حفل العروس) أو يقوم بها الفرد ذاته الذي يقدم هذا المبلغ المالي، وتتم بوقف الغناء وينادي الفرد بصوت عال وهو يحمل مبلغ مال معين، " هَذِي فِي خَاطْر الْعَرِيسِ" أو " أَخْبَسْ، أَخْبَسْ هَذِي مِنْ فُلَانَة فِي خَاطَرْ الْعَرُوسَة الزِّينَةَ" وغيرها من العبارات التي يتم اختيارها وتحمل سجعا وتناسقا في الكلمات المختارة وطربا في أذن المستمع مما يجعله يركز وينتبه للكلمات وللشخص المتحدث، وكثيرا ما تدوم هذه "التَّشْيِدة" إلى فترات متأخرة من الليل وتزداد شدتها بين فترة وأخرى لإبراز الوجود وفي بعض الأحيان تكون تفاخرا بين الأفراد أو العائلات حول المبالغ المالية الممنوحة في "التشييدة" أين تقع المزايدات لتصل إلى مبالغ ضخمة .

في الغالب تنتهي السهرة بوضع "خاتم الزواج" حيث يبدأ العريس بوضع الخاتم في وضع الخاتم في الأصبع الرابع من اليد اليسرى للعروس (البنصر) وتقوم كذلك العروس بنفس العملية معلنين بذلك عن وضع الرابط بينهما، وان كانت هذا الطقس أصبح من موجبات إعلان الزواج (ظاهريا)، فهو يعود في بدايته إلى الممارسات الفرعونية القديمة، وذلك أن النقود التي كانوا يتعامل بها آنذاك كانت على هيئة حلقات ذهبية وأن وضع إحدى هذه الحلقات في إصبع العروسة يدل على أن العريس قد وضع ما يملك تحت تصرفها، أما قدماء اليونانيين فقد قدسوا هذا الطقس لاعتقادهم بأن هناك عرقا عصبيا خاصا يمر من هذا المكان إلى القلب مباشرة، ولذلك كان دليلا على أسر القلب من قبل شخص آخر، واستمر هذا السلوك عبر الحقب التاريخية ليمتز حديثا مع السلوكيات الموجبة لإظهار قبول الارتباط من طرف العروسين خلال مراسيم الزواج، ثم يوضع أمام العريسين طاولة تحتوي على كعكة كبيرة الحجم وذات مستويات(pièce montée) ، أين يتناول العريس السكين وتضع العروس يدها فوق يده لتشاطره قطع جزء صغير من أعلى مستوى في الكعكة، ثم يضع هذا الجزء في صحن صغير، ويقوم عبر استخدام الشوكة بتقديم قطعة صغيرة للعروس إلى فمها، ثم يناولها الشوكة لتقوم هي كذلك بنفس العملية، ثم يسلم الكعكة إلى الحضور ليقوم الحاضرين

بتقاسمها، ثم يتم تقديم للعروسين كوبا عصير، حيث يقوم كليهما بوضع كأس العصير في فم الطرف الآخر حيث تتقاطع أيدي العروسين، ليشرب كل واحد منها من كأس الآخر وذلك يرمز إلى الثقة في الآخر والرغبة في تقاسم الحياة الشخصية مع الطرف الآخر.

وبعد انتهاء هذا الطقس يقوم العريسين وسط الجموع ليقوما بالرقص معا وسط الأغاني ليلتف به النساء من الحضور ويشجعانه على الرقص، وبعد مدة وجيزة يعلن عن انتهاء الحفل بأغنية تحمل في الغالب كلماتها معاني الفرحة.

تتميز السهرة في مدينة عنابة بالغناء، الرقص اللباس الحسن، الفرقة الموسيقية فذلك دلالة على فكرة العرس (إعلان الزواج) في مخيلة المجتمع المحلي، وحالما ما تنتهي الحفلة، يأخذ العريس عروسه في موكب من السيارات تكون السيارة التي تنقل العريسين متميزة عن باقي السيارات كونها أكثر فخامة والأحدث طراز وتكون مزينة بشكل جميل مليء بالأزهار الطبيعية أو الاصطناعية وأحيانا تكون لأحد الأقارب، لصديق أو يتم تأجيرها خصيصا للمناسبة، ولعل هذا الموكب يبدو صورة عصرية للمجتمع إلا أن له امتداداته التاريخية والزمنية المرتبطة بـ"الهودج" في صورته المرتبطة بالذاكرة الاجتماعية والثقافية عبر الأجيال والأمكنة متحديا في ذلك كل المصطلحات الآنية من عولمة، تحديث، عصرنة، مجتمع حضري، يتأقلم هذا الطقس مع معادلة الزمان-المكان، ليصبح الموكب عنصر ثابتا في عملية الزواج ويحتفظ بخصوصيته وذلك في احتفاظ الذاكرة الشعبية بالممارسات والطقوس المصاحبة له كإرث ثقافي يصاحب العرس في تأقلماته مع البيئة.

يقوم العريسين بجولة في أرجاء المدينة وجرت العادة أن يمر الموكب على أهم المناطق المشهورة في وسط المدينة "ساحة الثورة" و"الشارع الرئيسي" و"الشواطئ القريبة من وسط المدينة" وفي بعض الأحيان يتوقف الموكب في أحد هذه الشواطئ لينزل العروسين ويأخذا بعض الصور التذكارية وتكتمل الرحلة بولوج باب أحد فنادق المدينة التي تم مسبقا حجز غرفة لتمضية ليلة الدخلة فيه.

**9-11- الصباحة (أول أيام الزواج):**

في اليوم الأول من الزواج والذي يسمى "الصَبَاحَة" أو "التَخْلِيلَة" تنتقل العروس إلى بيت أهل زوجها للاحتفال بها ثم يأتي أهل العروس لتوديع العروس ويشمل هذا الوفد الأم والإخوة بنات وذكور والأقرباء من العائلة، دون حضور الأب، حيث تتزين العروس كما فعلت في ليلة العرس بلباس يكون في الغالب أزرق اللون أو وردي واللفة على الرأس فينزع لها أخاها الأكبر "التخليلة" تحت إيقاعات الفقيرات وتنصب طاولة مليئة بالحلويات التقليدية مثل: "المقروظ المعسل"، "الرفيس"، "الطمينة"، "البقلاوة" والتمر المحشوة باللوز، يتم تقديمها مع الشاي والقهوة المنكهة بماء الزهر، بالإضافة إلى أكواب من اللبن ويدوم الحفل إلى غاية بعد الظهيرة وفي بعض الأحيان حتى المساء، بتقديم الحلوى التي حضرتها العائلتان ليبدأ الاتصال والتواصل الاجتماعي بين الحضور من العائلتين، ويأتي طفل صغير لوضع "الحزام" للعروس على مستوى خصرها، وكما يصرح بعض الإخباريين إذا كان " الْعَرِيسْ عِنْدُو أَخٍ أَقَلْ مِنهُ سِنَّ يَحْزِمُهَا وَدَامَ الْفَرَحُ لِمَوَّالَيْهِ" ثم ترقص وسط جموع النسوة، ولكي تنتقل من خلال هذه الطقوس من تسمية "فتاة" إلى "سيدة" وتتغير بذلك مكانتها الاجتماعية ونظرة العائلة والمجتمع المحلي لها.

**10- النتائج العامة للدراسة:**

توصلت الدراسة إلى جملة من النتائج وتمثلت فيمايلي:

1- التمدن الاجتماعي أدى إلى ذوبان طقوس الزواج المرتبطة بالعادات والتقاليد لأفراد مجتمع الدراسة وتقبلهم المستحدث بسهولة في مراسيم الزواج في المدينة.

2 -تتعدد معايير طقوس الاختيار في الزواج لدى أفراد مجتمع الدراسة، حيث نجد أن المعيار الاجتماعي للعائلة وأخلاق الفتاة في اختيار الشريك من العوامل الأساسية في الاختيار، كما أصبح المستوى التعليمي والعمل من الأمور المحبذة لدى العروس، وذلك راجع للتفتح على ضرورة التعاون بين الزوجين في مجال تكوين الأسرة وكذا لازدياد متطلبات الحياة في المدينة مما يستدعى عمل الزوجين لرفع دخل العائلة وتلبية حاجياتها.

3 -الاستقلال الاقتصادي للشباب من الجنسين انعكس على زيادة حريتهم في الاختيار الزواجي، نقيض ما كان عليه الأمر في سنوات سابقة أين كان يخضع الشباب لإرادة العائلة أو اختيار الأب (الوالد أو كبير العائلة) الذي كانت له سلطة اختيار مطلقة تدعمها التقاليد المجتمعاتية في الوسط الحضري أو الريفي في الجزائر (التراتبية في العائلة) وأيضاً لسيطرته على الاقتصاد العائلي.

4 -تغير تمثلات الشباب للزواج، حيث عكس ما كان عليه الأمر سابقا بالنظر إلى الزواج كضرورة دينية وعامل استقرار اجتماعي، ليصبح مشروع اجتماعي يحمل جوانب اقتصادية وعلائقية أكثر منه جوانب سوسيو-دينية.

5 -حافظت طقوس الزواج على طابعها الازدواجي الذي يربط الدين بالقانون الاجتماعي(المدني).

6 -لقد انتقلت إقامة الأعراس من الفضاء الخاص (المنزل العائلي) إلى الفضاء العام (قاعات الحفلات)، لذا انتقلت ممارسة هذه الطقوس من المحافظة على الماضي (الثبات) إلى تمدين الطقوس (التغير).

7 -إن التوجه نحو "قاعات الحفلات" كبديل لمنزل العائلة أثر على سلوكيات المدعوين وكذلك الحضور في طقوس الأعراس، حيث نلاحظ جملة من التغيرات التي خلفها هذا التوجه، منها:

*أصبحت الأعراس محددة في مدتها الزمنية، في الغالب لا تتجاوز يومين يوم لإقامة الحفل العريس ويوم لإقامة حفل العروس مع الحفاظ على التباعد الزمني بين الحفلين، وفي بعض الأحيان وباتفاق الطرفين يختزل الاحتفالين في يوم واحد.

*الانخفاض التدريجي لعدد المدعوين، حيث أصبح الأمر يقتصر على دائرة المقربين من العائلة ثم الأصدقاء والجيران حسب ما تتوفر عليه القاعات من أماكن مخصصة للمدعوين وبالاتفاق بين العائلتين على حصة كل طرف في العدد الإجمالي للحضور.

8 -تكنولوجيا الاتصال والتواصل الاجتماعي دور أساسي في التغير الذي حدث لطقوس الزواج في مدينة عنابة، حيث كثرت حالات زواج الشباب من خارج المدينة، مع ارتفاع عدد الوافدين من مدن ومناطق أخرى بغية الاستقرار والعمل جالبين معهم تقاليدهم وطقوسهم الخاصة ونتيجة لهذا الاحتكاك والتفاعل، فإن الطقوس الممارسة في المدينة وعبر الأجيال امتزجت بأخرى أو اختفت في بعض الحالات لتترك المجال لممارسات وسلوكيات هجينة، نجد أنها لا تستمد مرجعيتها من تراث المدينة.

9 -هنالك تزايد التكاليف لبعض المستلزمات المرتبطة بطقوس الأعراس في المدينة، فنجد مثلا أن لباس العروس في ليلة العرس"التصديرة" قد يكلف ما يقارب سنة عمل كاملة لشخص متوسط الدخل ويستوجب عمل خياطة تقليدية يقارب 06 أشهر، مما جعل بعض هذه الطقوس تندثر وتظهر سلوكيات جديدة مثل "الماشطة" التي تقوم بمرافقة العروس ليلة العرس وتوفر لها العناية والتجميل وبذلك بدلا من اقتناء وخياطة الألبسة، فهي تقوم بتأجير هذه الملابس لليلة واحدة مقابل مبلغ مالي أقل بكثير من شرائها.

10 -إن المشاهدات التي تمت أثناء طقوس مراسيم الزواج ورصدنا لسلوكيات الإخباريين والحضور، أكدت لنا أنه لا توجد طقوس موحدة ما بين الأعراس في المدينة ، وإنما دائما توجد اختلافات في ممارسة بعض الطقوس، ولا يوجد نموذج موحد في ممارسة الطقوس، وذلك بسبب الانتماء الجغرافي (المكاني) لأهل العروس أو العريس الذي في الغالب يكون إحداهما أصوله لا تنتمي إلى المنطقة، مما يجعل ممارسة الطرفين لطقوس الزواج تختلف عن الآخر وفي بعض الأحيان تتناقض مع بعضها، كما أن اختلاف هذه الممارسات بين العائلات طبقا لعادات والطقوس المعمول بها في كل منطقة وما تفرضه الإمكانات المادية لكل عائلة يجعل بعض هذه الطقوس تسير إلى الزوال.

11 -هنالك توجه من طرف الشباب المشارك في مراسيم الزواج حسب دافع القرابة، الصداقة أو الجوار من العريس أو العروس إلى تزكية هذه العلاقة ويعمل على تثبيتها بكل الوسائل من دعم وخدمة متواصلة طوال مدة العرس، كما أنهم يتحركون بصفة منظمة بحيث يتقاسمون الأدوار والمهمات فيما بينهم، فمنهم من يختص مثلا بتزيين العروس ومرافقتهما طوال مشوارها وينتمون هؤلاء إلى العائلة المقربة جدا منها: الأم، الأخت العمة والخالة أو بنتهما ويضاف إليهن بعض الصديقات الحميمات لها، في المقابل منهم من يسهر على خدمة العريس ومساعدته من الأهل والأصدقاء المقربين له جدا، ومنهم من يهتم بإعداد موكب العروس، مكان الإطعام أو باستقبال الضيوف والى غير ذلك من الأمور، وهذا ما يؤكد على المحافظة العلاقات الاجتماعية خاصة في المناسبات الاحتفالية أين يبرز التكافل الاجتماعي مع العريس أو العروس أو أهلهما، من أجل السير الحسن للعرس وإنجاحه في مراحله المختلفة..

12 -لا تزال بعض الطقوس والممارسات المرتبطة بالزواج في مدينة عنابة مرتبطة بالتراث الشفهي عبر الحكايات أو عن طريق الممارسة أو المشاركة في الحدث (التوارث) إلا أن هنالك دائما طبعة شخصية لممارسة هذه الطقوس بحيث أنه تم "عصرنة الطقوس" لتتوافق مع متغيرات الزمن مثل: "الهودج" الذي تحول إلى موكب السيارات، ثوب "الشدة" الذي تم استبداله بـ"الفستان الأبيض" واللباس التقليدي للعروس اليوم لم يكن بنفس الشكل عليه في الزمن القديم، وإنما مر بمراحل عاش خلالها جملة من التغيرات في طريقة الخياطة نوع القماش واللون وهذا مواكبة للتطور الحضاري والاجتماعي الذي عاشته وتعيشه المدينة.

13 -تحتل الوليمة في العُرس حيز زمنيا مهما ويتم اعتبارها ديناً يُقضى وتتضمن الدعوة التأكيد على حضور المدعو، ويتم المغالاة في إعداد الوليمة من حيث عدد الأطباق وأنواعها وذلك للدلالة على المكانة الاجتماعية للعائلة وقدراتها المالية.

14 -بعض الممارسات الاعتقادية لا تزال من مكونات طقوس الزواج لدى أهل العريس أو العروس، ومرتبطة بالميتافيزيقيا مثل: السحر، العين والحسد وطرق تجنبهما خلال جميع مراحل العرس، والقيام ببعض الطقوس من أجل إتمام الزواج أو لغرض درء الحسد والوقاية من الشر، وكذلك الحماية من الأعمال السحرية التي تلحق الأذى بالعريس أو العروس.

15 -بعض المظاهر المرتبطة بالتفاؤل والتشاؤم ترتبط بطقوس العرس في المدينة، حيث تعتبر من مكونات الثقافة الشعبية للمنطقة، مثل: عدم تقديم القهوة في ليلة العرس، اللباس الأسود للحضور في "السهرة."

16- تم التخلي على بعض الممارسات المرتبطة بالزواج في المدينة عبر الزمن، مثل: عدم خروج العروس لزيارة أهلها إلا بعد مرور (01) سنة كاملة أو إنجاب الولد الأول لها، وأصبح الآن بإمكان العروس زيارة أهلها بعد شهر أو أقل من إقامة العرس، حيث أصبح هذا لا يشكل أمراً محظورا أو منافيا للأعراف الاجتماعية للمدينة.

**11- الخاتمة:**

إن القيام بدراسة طقوس الزواج في مدينة عنابة، لم يأتي بهدف تعميم النتائج ولكن باعتبار المدينة عاشت التمدن لفترات تاريخية طويلة، حيث يشكل العرس في المدينة طقسا مهما ومظهرا راسخا من مظاهر التآلف والتقارب العائلي والاجتماعي تتجلى فيه حالة قصوى من الفرح والابتهاج الإنساني، الذي تمتزج فيه قدسية الحدث بمحاولة الحفاظ على عراقة التقاليد والأعراف المرتبطة به من مراسيم وطقوس التي لا يكاد يخلو أي عرس منها -رغم الصبغة التحديثية والعصرنة التي تغزو الحياة اليومية لسكانها- نظرا بما يكتسيه هذا الحدث من أهمية بالغة في الوجدان.

**- قائمة المراجع:**


شعبان هوارية، المرجعية والطقوس الاحتفالية للزواج، منطقة تلمسان نموذجا، أطروحة ماجستير (غير منشورة)، قسم علم الاجتماع، جامعة تلمسان- الجزائر، 2007-2008.

كامل عمران، عز الدين دياب، ايفا سليمان حرما: الحنة، وظائفها وطقوسها الاجتماعية- دراسة انثروبولوجية في قرية بللوران الساحلية، مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية، سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية، المجلد (33)، العدد (1)، 2011، ص-ص 165-182.

هند عقل العقيبة: عادات الزواج وتقاليده بين الثبات والتغير- دراسة انثروبولوجية في مدينة بنياس وريفها، أطروحة ماجستير (غير منشورة)، قسم علم الاجتماع، جامعة دمشق-سوريا، 2003.

Larousse, Dictionnaire de la langue française, Ed 1988, p 1652.

المعجم الوسيط، الجزء الأول، باب "ط ق س"، ط2، دار أمواج، للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان 1987، ص 561.

نفس المرجع السابق، ص 562.

بيار بونت وميشال إيزار، معجم الإثنولوجيا والأنثروبولوجيا، ترجمة مصباح الصمد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، 2006، ص 631.

Martine Segalen, Rites Et Rituels Contemporains, Éditions Nathan, Paris, 1998, P8.

Social anthropology, (publication in French) Londres, Oxford University Press, 1982, pp.219-265.

Jack Goody, Religion et Rituel, The Definitional Problem The British Journal of Sociology, (publication in French,) Vol. 12, No. 2 (Jun. 1961), pp.142–164.

Mary Douglas, Règles et significations. L'anthropologie de la connaissance de tous les jours, (publication in French,) Lectures, edited by Mary Douglas (Penguin Books, 1973). pp. 197-211.

Martine Segalen, op.cit. p11

Groupe d'auteurs ،Microsociologie de la famille collection Que Sais-je ? 2eme éd. PUF, Paris, 1984, pp.25-43.

السيد عبد العاطي السيد، علم الاجتماع الحضري بين النظرية والتطبيق مشكلات وتطبيقات، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، مصر، 1997، ص- ص 18-26.

رضوان السيد، المدينة والدولة في الإسلام- دراسة في رؤيتي الماوردي وابن خلدون، مجلة الاجتهاد، العدد07، ربيع 1990، بيروت، ص-ص 232-236.

Joël de Rosnay. Surfer la vie ،comment survivre dans la société fluide, Éditions LLL, 2012, p

ريتشارد دورسون، نظريات الفلكلور المعاصرة، ترجمة وتقديم: محمد الجوهري وحسن الشامي، دار الكتاب الجامعي، القاهرة، 1982، ص-ص 36-59.

Lahouari Addi, Femme Famille et lien social en Algérie, In Famille et mutations socio politique : l'approche culturaliste à l'épreuve, sous la dir. de A. Thiebaut, Paris : Édition de la Maison des sciences de l'homme, 2005, pp.15- 65.

Boutefnouchet Mostapha, La société algérienne en transition. Office de publication universitaire1, place centrale de Ben Aknoun, Alger, 2004.

kateb kamel, la fin du mariage traditionnel en Algérie 1876-1998, France, éditions bouchene, 2001.

kateb kamel, op cit.

Radia Tualbi, Les attitudes et les représentations du mariage chez la jeune fille Algérienne, ENAL, Alger, 1984, p 49.

كمال بلخيري، مرجع سابق، ص 58.

Kouaouci A, "Familles Femmes et contraception", CENEAP, Alger, 1992, pp 112–113.

مصطفى بوتفنوشت، "العائلة الجزائرية –التطور والخصائص الحديثة –" ديوان.17– المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984، ص 137.

chaulet c , la terre les frères et l'argent, stratégies familiales et production agricole en Algérie depuis 1962, Alger, OPU, tom 1, 1984, p 208.

chaulet c, op cit. P 208.

radia Tualbi, les attitudes et les représentations du mariage chez la jeune fille algérienne, ENAL, Alger, 1984, p 49.

نفس المرجع السابق، ص 94.

العيساوة هي طريقة غناء صوفية إسلامية، مغربية المنشأ، انتشرت بقوة في الجزائر وتونس وليبيا، وظهرت لأول مرة في مدينة مكناس المغربية، ومؤسسها الذي تنسب إليه هو الشيخ محمد الهادي بن عيسى، الذي عاش في مدينة مكناس وتوفي سنة 1526، وتتميز بأهازيج كانت تؤدى جماعيا، على شكل حلقات، إلى أن أصبحت لونا فنيا قائما بذاته، وإن كانت في البداية كلمات تلك الأغاني الجماعية دينية مدحية، فقد أصبحت مع الزمن تعني بالتراث الشعبي من الشعر الشعبي والقصائد، كما تعتمد على آلات موسيقية بسيطة مثل: "البندير"، "الطبل"، "الدف" و"المزمار"، وكلها آلات إيقاعية، وإن كانت "العيساوة" طريقة واحدة من الناحية الفنية، فإن الاختلافات تكمن في الأغاني التي تتغنى بها كل فرقة، ومن أشهر الشعراء الجزائريين الذين ما زالت أشعارهم تتداول الشاعر "سيدي الأخضر بن خلوف".

لاسير(الشمع) هو سكر مذاب مع الماء يغلى مدة زمنية محددة ثم يوضع عليه عصير الليمون ثم يبرد حتى يصبح مادة مطاطية لاصقة نازعة للشعر وتعتبر هذه الوصفة التقليدية لما يسمى حديثا "نازع الشعر" (la cire).

وهي مصففة الشعر ومهنية مختصة في خدمة العروس وتعتني في ذلك اليوم بأهم الطقوس المتصلة بالجمال، الزينة واللباس التي تولي لها العروس اهتماما كبيرا ألا هو التزين، حيث تصاحب العروس وتخدمها وتزينها، حيث تبدأ بتصفيف شعرها وبعض الأمور التجميلية، لتنتقل الفتاة إلى بيتها.

"الجبة" أو "قندورة الفرقاني" وهو لباس تقليدي خاص بولاية قسنطينة وشرق الجزائر، مصنوعة من قماش القطيفة الذي تختلف ألوانه، حسب الرغبة، تطرز بخيوط ذهبية يدويا عملها صعب ويستغرق وقت طويل يسمى "المجبود".

هو لباس من مادة "القطيفة" مطرز بخيط ذهبي مع الحلي التقليدية، خياطته تعد حرفة تقليدية، ويحتوي ثلاث أشياء ضرورية: الحزام الذهبي عند الخصر ويسمى " محزمة اللويز" والأساور في اليد تسمى "المقياس" و"السخاب" في الرقبة.

تتكون "قندورة المجبود" من قطعتين منفصلتين، قطعة تمثل "الكنزة"، التي تكون مرسومة ومطرزة بخيوط خاصة، والقطعة الثانية تتمثل في "قندورة"، وبهذا يكتمل هذا اللباس التقليدي، وتصنع من قماش خاص، يدعى "القطيفة"، وهو عبارة عن قماش من نوعية مميزة، تعطي قوامًا للكنزة، يظهر عليه التطريز بطريقة متميزة، وبهية.

لباس تقليدي يكون باللون الأزرق مصنوع بالفتلة الذهبية متكونة من معطف قصير وخفيف مع قبعة طويلة على الرأس مزينة بجواهر "اللويز" الذي يسمى السلطاني مرفوقا بمنديل أزرق يعرف باسم التسريحة.

السخاب هو عبارة عن عقد يتكون من قطع متوازية من الطيب و"العفص"، يعطي روائح زكية تعبّق عنق المرأة لّما تضعه ليلة عرسها.

"المالوف" هو أحد أنواع موسيقى الطرب الأندلسي، وهو مصطلح يطلق على الموسيقى الكلاسيكية بالمغرب العربي بقسميه الدنيوي والديني المتصل بمدائح الطرق الصوفية، نشأ بالأندلس وارتبط في بعض الأحيان بالمدائح، وهو لا يتقيد في الصياغة بالأوزان والقوافي، وتتكون مادتها النظمية من الشعر والموشحات، مع ما أضيف لها من إضافات لحنية أو نظمية محلية جمعت بينها دائرة النغم والإيقاع.

"الفقيرات" هو جوق نسائي بحت فلكلوري يستمد أغانيه من الموروث الشعبي والمالوف والمديح يكون عادة الأداء جماعيا باستعمال بعض الآلات البسيطة مثل "الطار"، "الدف" و"الدربوكة" وجود الفقيرات ينحصر في أقصى الشرق الجزائري وخصوصا في مدينة عنابة.

"الفستان الأبيض" وهو ثوب أبيض اللون فسيح نوعا ما وطويل جدا حيث يغطي كل جسم المرأة حتى القدمين ويزيد طوله أحيانا طول العروس ويلامس الأرض، بالإضافة إلى قفزات من نفس اللون والقماش تضعهما العروس في يديها ويصل إلى تغطية ذراعيها حتى المرفقين ونوع من السترة الشفافة تثبت على رأسها وتتدلى على وجهها وكتفيها.

"الشوشنة" فهي عبارة عن قرطاس طويل مصنوع من قطعة قماش مرصّعة بـ"المجبود"، تضعه "الماشطة" للعروس كتاج فوق رأسها، كدليل على شموخ العروس وعلوّها.

يمثل مبلغ من المال يقدمه إحدى الحاضرين للفرقة الموسيقية، ويستخدم من خلاله كلمات خاصة تبرز حضور الشخص وتواجده في الحفل وهدفه من وراء تقديمه المال كتحية للعريس، أهل العريس أو الحضور وعن تقاسم فرحته معهم، وعن رغبته المشاركة في هذا الحفل.